المذهَب السريالى

ماهو المذهب السريالى ؟ الفرق بين السريالية والرومنسية● أسباب قيام المذهب السريالى● الأطوار التى مر بها السريالزم. ●مسرحية قلبى فى بلاد الأحلام .

ما هو المذهب السريالى ؟

المذهب السريالى أو السريالزم هوذلك المذهب الذى يحلق بنا وراء الحدود المألوفة لما اتفقنا أن نسميه الواقع ، والذى يحاول أن يمد الآداب والفنون لهذا السبب بما لم تألفه الآداب والفنون من المواد الغريبة عليها ، أو المواد التى لم يسبق للكتّاب والفنانين أن يستعملوها إما رهبة منها أوجهلاً بها أو لعدم قدرتهم على تكييف طريقة تناولها ، ومن ذلك المزج فى المسرحية الواحدة أو القصة الواحدة أو الصورة أو التمثال الواحد بين تجارب العقل الواعى والعقل الباطن . . ومن ضرورات هذا المزج ألا يخضع الكاتب أو الشاعر أو الفنان لأصول المنطق والتفكير المقعد السليم ؛ وذلك لأن من أهم قواعد السريالزم أن تتغلب سمات العقل الباطن وصبغته على سمات العقل الواعى وصبغته فى عملية المزج هذه . . ومن آثار غلبة العقل الباطن على العقل الواعى هذا التحلل من أصول المنطق والتفكير المقعد السليم .

الفرق بين السريالية والرومنسية :

ويسهل على من يمعن فى هذا الكلام السابق أن يدرك كيف توشك الرومنسية أن تقترب من السريالزم ؛ لأن من أهم أصول الرومنسية تغليب العاطفة والخيال على الأمور العقلية . . ويغلو أعداء السريالزم فيقولون : إنه « بدعة جديدة » لتحويل الرومنسية إلى ابتذال وسخف ، أو أنه كما يعبرون :

Areductio absurdum of romanticism !

ومهما يكن من اختلاف الآراء فى السريالزم ، فالكاتب أو الفنان الذى يأخذ بهذا

المذهب يفضل ألا يرتبط بالأوضاع المعروفة فى المذاهب الأخرى ، وهو لذلك يأبى التقيد فى المسرحية مثلاً بالقالب الواحد يصب مسرحيته فيه كما يصنع الكاتب الكلاسى أو الكاتب الطبيعى أو الكاتب الواقعى ؛ بل هو يؤثر التنقل فى المسرحية الواحدة بين الأجواء المختلفة . . الأجواء السائبة المتحللة من العرف والتقاليد . . وهذا التحلل من العرف والتقاليد هو من سمات الرومنسية ، إلا أنه فى السريالزم تحلل نشأ مما كرثت به الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) نفوس من اصطلوا حرها فزعزعت فيها القيم الأخلاقية وجعلتها تفلت من ربقة العقل (القديم ! . .) الذى زلزلت أركانه نظرية النسبية الجديدة، وما أذهل به فرويد ألباب العالم من أبحاثه السيكلوجية العجيبة التى أثبتت مدى تسلط عقلنا الباطن وهيمنته القاهرة علينا ، وتحكمه فى تكييف أخلاقنا ، وبالتالى فى عقلنا الواعى ! . .

أسباب قيام المذهب السريالى :

أذاع هجل ضرورة هدم الماضى كله لبناء مستقبل سعيد على أنقاضه ، ومادوى به صوت ماركس من ضرورة هدم الرأسمالية وقيام نظام ينصف العامل ويشد أزره وينقذه من أنياب الرأسماليين .

فهؤلاء الثلاثة إذن : فرويد وهجل وماركس ، هم المسئولون عن ذلك السريالزم الذى لم يبتكروه ، بل ربما لم يكونوا يعرفون عنه شيئًا ، وإنما الذى ابتكره وأذاع به وارتجل له ذلك الاسم ارتجالاً هو رجل روسى يدعى « ترستان [1] زارا » وذلك حينما أطلقه فى سنة ١٩١٦ على تلك الحركة الهدامة التى اختلجت فى نفوس الداعين إلى القضاء على جميع موازين الآداب ومقاييس الذوق ، وذلك فى كلمة نابية كان يلقيها فى إخوانه من أتباع السوء الذين تحللت أخلاقهم وانحطت أذواقهم ووجدوا فى دعاوى ماركس العريضة رسالة جديدة تبشر بمجتمع جديد ، له فنه الجديد وأدبه الجديد . .

وقد كانوا يطلقون على حركة السريالزم هذه ، والتى بدأها ترستان زارا ، كلمة دادا ، أى بابا ، وهى الكلمة التى ارتجلوها لثورتهم العاصفة بجميع القيم الأخلاقية ،

---

(١) Tristan Tzara .

والسخرية ما وسعتهم السخرية بما توارثه الناس من آداب وتقاليد وشرائع ومثل . وأنهم اتخذوا أحط الطرق وأوقحها لنشر هذا الروح الجديد وإشاعته بين الناس ، ولا سيما فى المشارب و (المباول ! . .) العامة . وقد وجدوا إنجيلهم الجديد وقيمهم الجديدة فى تعاليم كارل ماركس ، تلك التعاليم التى كانت أكبر مخدر (! . .) للطبقات العاملة ؛ ولهذا نشبت بينهم وبين رجال السياسة والأديان عامة ، ولا سيما الكاثوليكيين، مصادمات فكرية عنيفة ، إذ كانوا يغرون الشعب بالتحرر من الكثلكة إلى الواقعية الاشتراكية . . أما الفن الجديد الذى كانوا ينشدونه فقد وجدوه فى تلك الكتابة اللاشعورية أو الكتابة التلقائية (automatic) والتى كان أندريه بريتون أول من ارتفع بها إلى السريالزم الصحيح ، وبالأحرى كان أول من انتشلها من بؤرة الفوضى التى قضت فيها فترة الحضانة فى موسكو .

الأطوار التى مر بها السريالزم :

ثم مر السريالزم بعد ذلك فى أطوار ثلاثة . . أولها (من سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٢٤) : وهى تلك الفترة التى كان يتلمس فيها طريقه إلى الفنون والآداب والسياسة باستحداث الوسائل التى يستطيع بها تسخير العقل الباطن للإنتاج فى هذا الميدان الفسيح الرحب ، والطور الثانى (من سنة ١٩٢٥ إلى سنة ١٩٣٠) . وهو ذلك الطور الذى تحقق فيه كيان السريالزم بقيام الشيوعية الدولية ، وكان ذلك مصحوبًا بالإنتاج الفعلى فى عالمى الأدب والفنون وفقاً للأصول اللاشعورية (التلقائية) الخالصة . . ثم يلى ذلك الطور الثالث : وهو ذلك الطور الذى أخذ فيه معتنقو السريالزم يتحللون بالتدريج من ربقة موسكو السياسية ، وهو تحلل يكاد يكون ردة إلى الأصول التى ثار عليها منشئو السريالزم الذين كانوا ينكرون الوطنية ويستهزئون بالشرائع ويسخرون من التقاليد ويزرون بالأديان ويكفرون بالأسرة . . وكان من آثار هذه الردة أن أصبح كتّاب السريالزم وفنانوه يتهاونون إلى حدٍ ما فى الكتابة اللاشعورية أو التلقائية التى يكتبها الكاتب وهو شبه ذاهل عن نفسه ؛ وعادوا يجيزون الكتابة الشعورية إلى حد ما ـ كما أجازوا ذلك الفن أيضاً ـ وهنا نشأت طريقة جديدة ـ أو وجه جديد ـ من أوجه السريالزم ، هى طريقة الاضطراب الذهنى (البارانويا) التى ينتاب الكاتب السريالى

فيها حال أشبه بالشرود الفكرى يصدر فيها عن مزاج سوداوى فكه يجعل أفكاره مفككة يكاد الربط بينها يكون معدوما . . وهذا هو السريالزم الحديث الذى نشأ فى باريس واستقر فيها حتى اقتحمها الألمان فى الحرب العالمية الثانية، فهاجر منها إلى أمريكا حيث استقر فى الولايات المتحدة وتأثر به كثير من أدبائها وفنانيها كما تأثر به كثيرون من كتّاب المسرح، الذين يثيرون فى القارىء أو المتفرج الكثير من مشاعر الرحمة وأحاسيس الحنان بجمال ما يصوره خيالهم المنطلق من صورة الروح الإنسانى المستكن فى أغوار النفس ولا يحسن إظهاره إلاّ هؤلاء السرياليون . . وعلى رأسهم وليم ساروين W.Saroyan المولود سنة ١٩٠٨، والذى كتب عددًا من القصص والمسرحيات السريالية قابلها النقاد الأمريكيون بالوجوم . . وإن أقبل عليها القراء والمتفرجون بالإعجاب .

وسنرى من الخلاصة التى سنقدمها فيما يلى للمسرحية السريالية التى كتبها ساروين أنه استطاع الإلمام بأهم عناصر المذهب السريالى . والذى نحب أن نلفت النظر إليه قبل تقديم هذا الملخص هو أن المسرحيات السريالية تكاد تشبه المسرحيات الطبيعية من حيث عدم اشتمالها على ذروة . . ومن حيث أنها مجرد عرض صور لا تربطها إلا فكرة عامة ، إلا أنها تختلف عن مسرحيات الرومنسية فى أنها تشبه الحلم ، وبالأحرى ، أحلام اليقظة التى هى من آثار سلطان العقل الباطن . . ولن يصعب علينا إدراك ما لفرويد وهجل وماركس من نصيب فى تفكير المؤلف . . هذا التفكير الذى يوشك أن يشبه الهذيان . . وهو مع ذاك هذيان يملك علينا مشاعرنا ويثير فينا مواجع الرحمة .

* * *

مسرحية قلبى فى بلاد الأحلام(١)

مسرحية سريالية للكاتب الأمريكى وليم ساروين . .

نحن أمام « سلاملك » منزل قديم أبيض فى طرف من أطراف مدينة فرسنو بولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة . . والمنزل منعزل ، تفصله من منازل المدينة برية موحشة

(١) My Heart is in the Highlands.

تظلها سماء قرمزية . . ونحن فى ساعة من ساعات الأصيل فى أمسية من شهر أغسطس سنة ١٩١٤ . . والشمس موشكة على الغروب .

وهذا صبى صغير يدعى جونى فى التاسعة من عمره . . وقد أخذ يلهو ويلعب فوق الدرج ، ويحاول الوقوف على يديه وفوق رأسه (! . .) والضرب فى الهواء برجليه كما يصنع « البلياتشو » . .

ثم تدوى فى البعد صفارة قطار يطوى الرحب ، فيفيق جونى مما هو فيه من هذا اللعب ، ويصغى بإحدى أذنيه إلى صفير القطار ، كأنما يحاول فهم ما يعنيه هذا الصفير الذى يشبه صراخ المستغيث . . ثم يعود جونى إلى لعبه ، ولا يكاد يمضى فيه حتى يلمح غلاماً لا يعدو الرابعة عشرة من عمره . . مقبلاً يطوى الطريق فوق دراجته وقد حمل على إحدى كتفيه حملاً من جرائد المساء ، وأخذ يلعق قطعة من الجلاس الشائق اللذيذ الذى جعل الدنيا كلها من حوله عالماً من الجيلاتى الجميل .

ويشير إليه جونى . . إلاّ أن الغلام يكون عنه فى شغل . . ويمضى به دون أن يلقى إليه بالاً . فيجلس جونى ليفكر فى هذا العالم اللانهائى . . إلاّ أن عصفوراً يسقسق من حوله فيقطع عليه تفكيره ، فإذا التفت إليه وشرع يكلمه طار العصفور دون أن يعيره اهتماما . . ودون أن يأبه به .

ويبتسم جونى . . ثم يعود إلى لهوه من جديد . . إلا أننا نسمع صوتًا يصك آذاننا من داخل المنزل البائس . . فنعرف أنه صوت والد جونى . . الذى حبس نفسه فى عالمه الداخلى ، وأخذ يشتغل بقرض قصيدة من الشعر . . وها هو ذا يردد أبياتها . . ويحاول إصلاح ما لا يعجبه منها :

« النهار الطويل الصامت على سفر فى منازل القلب الوقور المقروح (! . .)»، ثم يصمت هنيهة ويعود، فينبس موأوئا :

« و . . و . . . و . . ».

ثم ينطلق مسرعاً ، فيقول :

« النهار الطويل الصامت . . على سفر فى منافذ القلب الوقور المقروح . . و . . و . . » . .

ثم يعود ، فيقول : « إن الزمن ليتعثر كسيحًا باكيًا فى حنايا القلب الوحيد المهجور» .

ثم نسمعه يقلب مائدة . . ويضرب كرسيّا فى غضب . . ثم يزمجر . . ثم يصمت . .

أما جونى فيرهف أذنيه . . ثم ينهض فيحاول الوقوف على رأسه . . إلاّ أنّه يفشل مرة بعد مرة . . حتى ينجح آخر الأمر . . وبينما هو كذلك إذا هو يسمع أشجى موسيقى وأجملها . . وإذا الموسيقى هى هذا اللحن المعروف : « إن قلبى فى بلاد الأحلام ! » يعزفه موسيقار صناع طاعن فى السن ، وضع نايه فوق شفتيه ، وقد أوشك الآن أن ينتهى منه وهو يشارف المنزل . . وينتقل جونى إلى الرجل مأخوذًا مشدوهًا يكاد يطفر من الجذل ، ويقول :

- بودى لو سمعتك تزف لحنًا آخر ! .

ويقول له الرجل العجوز ، واسمه ماك كريجر :

- أيها الفتى . . أيمكنك أن تحضر كوباً من الماء لرجل ظمآن ليس قلبه هنا : بل هو فى أرض الأحلام . . فوق روابى سكتلندا ! .

- وما روابى سكتلندا ؟

- روابى سكتلندا هى . . روابى سكتلندا . . هل يمكنك . . ؟ . .

- وماذا يصنع قلبك فى روابى سكتلندا ؟ . .

- إن قلبى يتنزى من الحزن هناك . . أيمكنك أن تحضر لى كوبًا من الماء البارد ؟

- ومن أين أمك ؟!

- أمى فى طلسا . . فى أوكلا هوما . . لكن قلبها ليس هناك . .

- وأين قلبها إذن ؟ . .

ـ (بصوت مرتفع) فى ربى سكتلندا . . (بحنان) أنا فى منتهى الظمأ يا بنى !

ـ وكيف حدث هذا ؟ كيف يترك كل أفراد عائلتك قلوبهم فى ربى سكتلندا ؟ !

ـ (فى لهجة شكسبيرية) هكذا حالنا . . هنا اليوم . . وراحلون غدا !

ـ (محدثًا نفسه) هنا اليوم . . وراحلون غدًا ؟ ! (إلى الرجل) ما أغرب ما ترمز ! !

ـ أحياء حينًا . . أموات حينًا آخر . .

ـ وأين أم أمك ؟

ـ (متحاملاً . . ولكن فى غضب) إنها هناك . . فى فيرمونت . . فى بلدة صغيرة اسمها النهر الأبيض . . إلا أن قلبها ليس هناك !

ـ « وهل قلبها البائس العجوز فى ربى سكتلندا هو الآخر ؟

ـ « ذهب إلى ربى سكتلندا فجأة . . يا بنى ! . . إن الظمأ يكاد يقتلنى !

(وهنا يخرج الولد جونى كأنه ينطلق من قفص ويصيح بولده وهو أشبه بالنمر الذى استيقظ من حلم مزعج . . قائلاً (!) :

ـ جونى أيها الملعون . . ارحم هذا الرجل العجوز البائس . . أدركه بجرعة من الماء قبل أن يسقط فيموت . . لعنك الله . . ما أضيع أخلاقك ! . .

ويجيبه جونى :

ـ أوه . . ألا يستطيع الإنسان أبداً أن يقف على شىء من رجل مسافر ! . .

ـ أدرك الرجل بقليل من الماء قاتلك الله . . لا تقف كالناطور هكذا . . هات له يشرب قلت لك قبل أن يخر ويموت . .

ويقول له جونى :

ـ بل أنت الذى تأتيه بما يشرب . . فأنت لا تصنع شيئًا . .

ـ لا أصنع شيئًا ! . . ولماذا يا جونى ! . . فأنت تعرف أننى أعد قصيدة جديدة منظومة فى ذهنى ! . .

ـ وكيف دار فى خلدك أننى أعرف ؟ إنك واقف منذ هنيهة فوق السدة مشمرًا عن ساعديك ! . .

ـ (غاضبًا) حسن . . كان واجباً عليك أن تعرف (زائرًا بصوت مدو) إنك ابنى (متعجبًا)

إن لم تعرف ذلك ، فليت شعرى من يعرف ؟

وهنا يبش ماك كريجر ، ويخاطب الرجل قائلاً :

ـ طاب مساؤك . . لقد كان ابنك يحدثنى عن صفاء الجو واعتلاله فى هذه الأرجاء . .

(ويذهل جونى ، ويخاطب نفسه قائلاً) :

يا إله السموات ! إنى لم أنبس ببنت شفة عن الجو ، فمن أين له هذا ؟ . .

يحيى والد جونى ماك فى عظمة وأبهة . .

ـ كيف حالك . . ألا تتفضل لتستريح عندنا قليلاً ؟ يشرفنا أن ندعوك إلى لقمة نأكلها سويّا . .

(بلسان الواقع) سيدى : لشد ما أموت جوعًا . . إنى قادم من فورى ! . .

(ويتقدم الرجل ليدخل ، فيعترض سبيله جونى ، ويحملق إلى أعلى فى وجهه ، ثم يخاطبه فى صوت عاطفى حنون) :

ـ هل يمكنك أن تعزف لحن : اسقنى بعينيك فحسب ؟ لشد ما أحب سماعه من نايك . . إنه لحنى المفضل ، ولا أوثر عليه لحنًا آخر .

(ويجيبه ماك كريجر ، وقد زالت الغشاوة عن عينيه) :

ـ عندما تشب يا بنى ، وتصبح فى مثل سنى ، تعلم أن الألحان لا أهمية لها ، وأن الخبز هو كل شىء ! . .

(فيجيبه جونى فى صدق) :

ـ مهما يكن ، فلشد ما أحب أن أستمع إلى ذلك اللحن منك .

وهنا يتقدم الموسيقار ويصافح والد جونى ، ويعرفه بنفسه قائلاً :

ـ اسمى جلسبر ماك كريجر . . وأنا ممثل .

ـ (مبتهجًا) يسرنى أعظم السرور أن نتعارف (ويصدر أمره إلى جونى) جونى : هات جرة من الماء للسيد ماك كريجر :

ويهرع جونى إلى داخل المنزل ، أما ماك كريجر فيتنهد ، وهو يكاد يموت من الظمأ ويقول فى لهجة صادقة مع ذاك :

ـ ولد فاتن !

ـ (فى لهجة عادية) مثلى . . إنه عبقرى !

ـ (وهو يغالب نفسه من التعب) أخالك مولعًا به !

ـ إننا شخص واحد . . إنه قلب شبابى النابض . . هل لاحظت تشوفه ؟

ـ يجب أن أقول إننى لاحظت ذلك .

ـ (فى تيه وعجب) ذلك شأنى أنا الآخر ، وإن كنت أكبر منه سنّا وأقل ذكاء .

(يعود جونى جاريًا وهو يحمل جرة من الماء يعطيها لماك كريجر الذى يتناولها ، ويرفعها إلى فمه ، وقد جحظت عيناه ، وأخذت أنفاسه تسرع فتحدث شخيراً عالياً ، ثم يفرغ كل ما فى الجرة من الماء فى لهاته دفعة واحدة ، فى حين يلاحظه جونى وأبوه فى دهش واستغراب . . فإذا فرغ راح يتنفس أنفاسًا عميقة ، ثم نظر حوله يتملأ المنظر العام ، مقلباً عينيه فى السماء وفى طرف طريق سان بنيتو وحيث الشمس آخذة فى المغيب ، ثم يقول وهو سابح فى تأملاته ، وفى صوت حزين متعب لطيف) :

ـ أحسب أننى على بعد خمسة آلاف ميل من الوطن . . ترى ! هل نستطيع أن نأكل كسرة من الخبز ، وقليلاً من الجبن أمسك بهما جسمى . . وروحى ؟

(ويصيح والد جونى فى لهجة آمرة كلهجة نابليون) :

ـ جونى : اذهب إلى البقال وأحضر منه رغيفًا من الخبز الفرنسى ورطلاً من الجبن !

ـ (فى صوت يشبه صوت القاضى وهو يصدر حكمه بإدانة المتهم) : هات النقود !

ـ (فى صوت هادىء ، شعرى ، وفى كبرياء): أنت تعرف أننى لا أملك بنسًا يا جونى . . هات من المستر كوزاك على الحساب .

ـ إنه لن يفعل . . لقد تعب من إعطائنا على الحساب . . وهو يقول إننا لا نعمل ، ولا ندفع ما علينا ، ونحن مدينون له بأربعين سنتاً !

ـ (مهتاجًا وقد عيل صبره) : اذهب إليه وحاوره فى هذا . . إنك تعرف أن هذا عملك !

لن يصغى إلىّ . . وهو يقول: إنه لا يعلم أى شىء عن أى شىء ! وكل ما يريده هو مبلغ الأربعين سنتاً .

ـ (بلهجة نابليونية) اذهب إليه وتحايل عليه حتى يعطيك رغيفاً ورطلاً من الجبن (ثم يتملق ابنه فى توسل ورقة) . . ما أهون هذا عليك يا جونى !

(وهنا يتدخل ماك كريجر وقد نال منه الجوع وقلة الصبر ، فيقول :)

ـ اذهب يا بنى وهات من المستر كوزاك رغيفًا ورطلاً من الجبن .

ويقول والد جونى :

ـ أسرع يا جونى . . إنك لم تفشل مرة فى إحضار شىء ما من محل المستر كوزاك ، ويقينى أنك ستعود إلينا فى ظرف عشرة دقائق بطعام يليق بملك . .

(ثم يتدارك متفكهًا) أو بدوق على الأقل !

ـ أنا لا أعرف . . المستر كوزاك يقول إننا ننوى أن نضحك على ذقنه . . ثم هو يريد أن يعرف فيم تشتغل !

ـ (مغضباً) عال . . اذهب حالاً وقل له (بصوت الأبطال) إنى لا أخفى عن الناس ما أعمل . . إنى . . أقرض الشعر ليلاً نهارا !

ـ (مسلماً آخر الأمر) عظيم . . ولكنى لا أظن أنه سوف يقتنع . . فهو يقول : إنك لا تخرج من منزلك أبداً ، ولا تبحث عن عمل . . وهو يقول : إنك بليد . . ولا خير فيك .

ـ (مزمجراً) : اذهب إلى هذا السلافى الغليظ القلب وقل له : إنه معتوه يا جونى !

اذهب إليه وقل له : إن أباك . . هذا السيد والعالم العظيم . . واحد من أعاظم الشعراء المجهولين الذين لا يزالون على قيد الحياة .

ـ إنه لن يبالى بهذا يا بابا . . ومع هذا فسأذهب إليه ، وسأبذل جهدى . . أليس عندنا ما نأكله مطلقاً ؟

ـ (مزمجراً . . وفى سخرية مرة) فشار . . وفشار فقط : (إلى ماك كريجر) لقد مضت علينا أيام أربعة ، ونحن لا نذوق إلا الفشار : (إلى جونى) والآن يا جونى ينبغى أن تعود بالخبز والجبن إذا كنت تريدنى أن أفرغ من تلك القصيدة الطويلة !

ـ سأبذل جهدى .

ـ (ويقول ماك كريجر) : لا تبطىء علينا يا جونى ، فخمسة آلاف ميل تحول بينى وبين الوطن يا بنى :

ـ سأجرى الطريق كله يا مستر ماك كريجر :

ويقول أبوه :

ـ وإذا وجدت نقوداً فى الطريق فتذكر أننا سنقتسمها بالتساوى :

ـ (وقد سرته النكتة) : وهو كذلك يا بابا .

(ثم ينطلق فى طريقه)

* * *

المنظر الثانى

داخل مخازن بقالة المستر كوزاك

(المستر كوزاك نائم فوق ذراعيه المربعتين ـ ويرفع رأسه عندما يدخل جونى . إنه

رجل لطيف ظريف تكسو وجهه سيماء الجد ، ذو شارب وحف طويل أشقر من الطراز القديم . . يهز رأسه متثائبًا محاولاً أن يستيقظ)

جونى ـ (الدبلوماسى كعهده دائمًا) مستر كوزاك . . لو أنك كنت فى الصين ولم يكن لك فيها صديق ولم تكن معك نقود . . ألم تكن تنتظر أن تجد فيها أحداً يعطيك أقة الأرز ؟

ـ ماذا تريد ؟

ـ أريد أن أتحدث إليك قليلاً . . لابد أنك كنت تنتظر أحداً من أبناء الجنس الآرى ليمد يد المعونة . . أليس كذلك يا مستر كوزاك ؟

ـ كم أحضرت من النقود ؟

ـ ليست المسألة نقود يا مستر كوزاك . . إنى أتحدث عن وجودك فى الصين ؟

ـ أنا لا أعرف لا شىء عن لا شىء .

ـ كيف يكون شعورك فى الصين فى هذه الحالة يا مستر كوزاك ؟

ـ لا أدرى يا جونى ـ ماذا عساى أصنع فى الصين ؟

ـ حسناً . . ربما تكون قائماً بزيارة هناك : . . وربما شعرت بجوع شديد وأنت على مسيرة خمسة آلاف ميل من أرض الوطن ، ولا صديق لك فيها . . وفى هذه الحالة ليس من المعقول أن يزورك كل إنسان فلا يعطيك حتى أقة واحدة من الأرز يا مستر كوزاك !

ـ أكبر ظنى أن هذا لا يمكن أن يكون . . إلا أنك لست فى الصين يا جونى ـ ولا أبوك هو الآخر ؛ والواجب يقتضيك كما يقتضى السيد الوالد أن تسعيا فى الأرض وأن تبتغيا من رزقها شطراً من حياتكما التى تضيع سدى . . فهلما فاعملا منذ الساعة لأنى لن أعطيكم شيئًا من البقالة على الحساب بعد ، لعلمى أنكم لن تدفعوا لى شيئًا !

ـ مستر كوزاك : إنك تسىء فهم كلامى . . إن هذه سنة ١٩١٤ . . لا سنة ١٩١٣ . . وأنا لا أتكلم عن شىء من البقالة . . بل أتكلم عن جميع من حولك من الكفرة فى الصين . . وأنت تقاسى من الجوع ما يكاد يذهب بنفسك !

ـ هذه ليست الصين . . يجب عليكم فى هذه البلاد أن تسعوا فى سبيل رزقكم ، واجب على كل إنسان أن يعمل فى أمريكا .

ـ يا مستر كوزاك . . افرض أن الذى كنت تحتاجه ، ليمسك عليك رمقك فى هذه الحياة هو رغيف من الخبز ، ورطل من الجبن ، فهل كنت تتردد فى سؤال أحد المرسلين المسيحيين هذه الأشياء ؟

ـ أجل . . كنت أتردد . . وكنت أخجل من سؤاله أى شىء !

ـ حتى ولو كنت واثقا من إعطائه إياك رغيفين بدلاً من رغيف ، ورطلين من الجبن بدلاً من رطل واحد . . حتى فى هذه الحالة يا مستر كوزاك ؟

ـ حتى فى هذه الحالة .

ـ أوه . . لا تقل هذا مستر كوزاك . . هذا مجرد كلام . . وأنت تعلم ذلك . . لماذا؟ . . إن الشىء الوحيد الذى يحدث لك هو . . الموت . . إن هذا ربما قضى عليك بالموت هناك . . فى الصين . . يا مستر كوزاك !

ـ هذا ، لو حدث ، لا يهمنى . . والواجب عليك وعلى أبيك أن تدفعا ثمن الخبز والجبن . . لماذا لا يخرج أبوك من عقر داره ليبحث له عن عمل ؟

ـ (وهنا يغير جونى مجرى الحديث ليتلافى هذا الهجوم الحصيف إلى الناحية الإنسانية البحتة) : كيف حالك يا مستر كوزاك ؟

ـ عال يا جونى : وأنت ؟

ـ لا يمكن أن أكون خيرًا مما أنا فيه . . والأطفال ؟

ـ بخير جميعاً . . وقد أخذ ستيفن يتعلم المشى الآن .

ـ عظيم جدّاً . . وأنجيلا . . كيف حال أنجيلا ؟

ـ أخذت تتعلم الغناء . . وكيف حال جدتك ؟

ـ عال جدّاً . . وقد أخذت تتعلم الغناء هى الأخرى . . وهى تقول : إنها تفضل أن

تكون مغنية عمومية من أن تكون ملكة على انجلترا . . وكيف حال زوجتك مارنا يا مستر كوزاك ؟

ـ أوه . . جيدة جدّاً .

ـ لا يمكننى أن أصف لك مقدار سعادتى حينما أسمع أن كل شىء على ما يرام فى منزلك . . ويقينى أن ستيفن سيكون رجلاً عظيماً يوماً من الأيام .

ـ أرجو ذلك وأنا عازم على إلحاقه بمدرسة عليا ليدرك من الفرص ما فاتنى ولا أريد أن يشقى طوال حياته هو الآخر .

ـ إنى أثق ثقة عظيمة فى ستيفن يا مستر كوزاك .

ـ ماذا تريد ياجونى . . وكم من النقود أحضرت ؟

ـ مستر كوزاك . . أنت تعرف أننى ما جئت إلى هنا لأشترى شيئًا . . وتعرف أننى يلذ لى الحديث الفلسفى الهادىء معك ، فى الفينة بعد الفينة . (وبسرعة) لتسمح لى برغيف من الخبز الفرنسى وبرطل من الجبن .

ـ على أن تدفع الثمن فورًا يا جونى . .

ـ وإيستر ؟ . . كيف حال ابنتك الجميلة إيستر ؟ . .

ـ بخير يا جونى . . ولكن يجب أن تدفع الثمن فوراً فأنت وأبوك أخبث أهل هذه البلاد .

ـ يسرنى أن تكون إيستر بخير يا مستر كوزاك . . جاسبر ماك كريجر يزورنا فى منزلنا الآن . . إنه ممثل عظيم .

ـ عمرى ما سمعت عنه .

ـ وزجاجة من الجعة للمستر ماك كريجر .

ـ لا أستطيع أن أعطيك زجاجة من الجعة .

ـ بل تستطيع . . بالتأكيد .

ـ لا يمكن . . وسأعطيك رغيفًا من الخبز الفرنسى ورطلاً من الجبن فقط . . أى نوع من العمل يقوم به أبوك حينما يعمل يا جونى ؟

ـ أبى يقرض الشعر يا مستر كوزاك . . وهذا هو العمل الوحيد الذى يقوم به أبى، وهو واحد من أعاظم الشعراء فى العالم .

ـ وهل يكسب شيئًا ما من النقود ؟

ـ إنه لا يكسب منها مطلقًا . . وهل يجتمع النقيضان ؟

ـ إنى لا أحب هذا النوع من العمل . ولماذا لا يعمل أبوك كما يعمل سائر الناس !

ـ إنه يكدح أشد مما يكدح أى إنسان آخر . إنه يكدح ضعف ما يكدح الرجل العادى .

ـ (وهو يسلم جونى رغيفًا ورطلاً من الجبن) حسنًا . . يكون حسابكم خمسة وخمسون سنتًا يا جونى . . ولقد لبيت طلبك هذه المرة . . ولن يحدث هذا مرة أخرى .

ـ (وهو يغادر المحل) قل لإيستر: إننى . . أهواها . . !

(وبينما يهرول جونى ، يثب كوزاك ليطارد ذبابة لا تفتأ تهرب منه هنا وهناك، وهو يسب الدنيا ويلعن الحياة) .

* * *

المنظر الثالث

(فى المنزل ـ والد جونى . والموسيقار العجوز يبحثان الشارع بعيونهما

متشوفين إلى مجىء جونى ومعه الخبز والجبن ـ وجدة جونى

واقفة فى السدة هى الأخرى للسبب نفسه)

ماك كريجر : أظن أنه أحضر معه شيئًا من الطعام .

والد جونى : (فى كبرياء) طبعًا . . طبعًا . .

(ثم يومىء إلى المرأة العجوز التى تسرع إلى داخل المنزل لتعد المائدة ـ فى حين يسرع جونى إلى والده والرجل العجوز)

ألم أقل لك إنك كنت لها :

ماك : وأنا أيضًا . . لقد كنت أعلم أنه سيأتينا بالطعام .

جونى : إنه يقول : إن علينا أن ندفع له خمسة وخمسين سنتًا . . ويقول أيضًا : إنه لن يعطينا شيئًا على الحساب بعد ذلك .

والدجونى : هذا رأيه هو . . فيم كنتما تتحدثان ؟

جونى : تحدثت أول الأمر عن وجود إنسان فى الصين ، وهو مشف على الموت جوعًا . . ثم سألته عن صحة العائلة .

ـ وكيف حالهم ؟

ـ عال . . وإن لم أجد نقودًا ما فى الطريق . . ولا بنسًا واحداً !

ـ حسنًا . . حسنًا . . ليست النقود كل شىء !

* * * (ويدخلون المنزل)

المنظر الرابع

(حجرة الجلوس العامة . . كلهم حول المائدة وقد فرغوا من العشاء

ماك كريجر يتناول الفُتات (الفرافيت !) من فوق المائدة واحدة بعد أخرى ، ثم يضعها فى فمه بلذة . . ثم يبحث الغرفة بعينيه ليرى إن كان ثمة ما يؤكل بعد)

ماك : هذا القدر الأخضر يا جونى . . الموضوع هناك . . هل فيه شىء !

جونى : بلى . . فيه بلى !

ماك : وهذا الصوان . . أليس فيه ما يؤكل ؟

جونى : كريكت . . فيه كريكت !

ماك : وهذه الجرة التى فى الركن . . يا جونى . . أى شىء لذيذ فيها ؟

جونى : ثعبان من ثعابين البرارى :

ماك : لا بأس . . وماذا فى أكل قطعة من لحم ثعبان البرارى المسلوق يا جونى !

جونى : (كمن نصبته يد القدرة حامياً للحيونات من الأذى) هذا محال يا مستر ماك كريجر .

ماك : ولم لا يا جونى ؟ ولم لا يا بنى ؟ لقد بلغنى أنهم يأكلون الثعابين والجراد فى بورنيو . . وأظنك لا تقتنى نطاطا يا جونى . . أليس كذلك !

جونى : عندى منه أربعة فقط .

ماك : عال : هاتها يا بنى . . وبعد أن نأكل كفايتنا منها فسأعزف لك لحن «اسقنى بعينيك فحسب » . . فأنا جد جوعان يا جونى .

جونى : وأنا أيضًا . . إلا أننى لا أسمح لأحد بقتل هذه المخلوقات البريئة . . التى لها من الحقوق ما لغيرها من المخلوقات .

والد جونى : (لماك كريجر) ما قولك فى قليل من الموسيقى ؟ أحسب ذلك . . يُدخل السرور على نفس جونى .

جونى : (واثبًا) مؤكد . . مؤكد يا مستر ماك كريجر .

ماك : وهو كذلك يا جونى . . الخبز . . لشد ما ينشب النضال بين الخبز وبين نفسى . . يا إلهى !

(ينهض ماك ويأخذ فى النفخ فى نايه . . ويرتفع اللحن رويدًا رويدًا فى سحر وروعة كأحسن ما ينفخ أحد فى ناى . . ويأخذ الناس يفدون من الجهات المجاورة حتى يكتمل عددهم ثمانية عشر . . حتى إذا فرغ ماك من عزف هذا اللحن الخالد : اسقنى بعينيك فحسب ، راح الناس يهتفون له ويحيونه مأخوذين مسحورين) .

والد جونى : (مزهّوا منتشيًا) يجب أن تلقى جمهورك . . يجب !

(وهنا يشرفون جميعًا على الجمهور من السدة).

والد جونى : (مخاطبًا الجمهور) جيرانى الطيبين . . أصدقائى . . أقدم لكم جاسبر ماك كريجر . . أعظم ممثلى شيكسبير فى هذا العصر (وبعد هنيهة) فى رأيى .

ماك كريجر : (فى لهجة تمثيلية) لا أزال أذكر أول مرة ظهرت فيها على مسارح لندن، فى سنة ١٨٥١ . . وكأنما كان ذلك بالأمس فقط : لقد كنت حينئذٍ صبيًا فى الرابعة عشرة . . جئت ، من أزقة جلاسجو ، وكان علىّ أن أقبل دور تابع فى رواية نسيت اسمها بكل أسف . . ولم يكن علىّ أن أقول شيئاً ، وإن كان علىّ أن أسير على المسرح كثيرًا . فكنت أجرى من ضابط إلى ضابط ، ومن عاشق إلى محبوبته ، ومن الحبيبة إلى المحب الوامق . . مرات كثيرة !

روف آبلى : (النجار وأحد المحتشدين وهو يقاطع هذه الخطبة العظيمة آسفًا) وما قولك فى لحن آخر يا مستر ماك كريجر ؟

ماك كريجر : وهل يوجد بيض فى منزلك ؟

روف : بكل تأكيد . . عندى اثنتا عشرة بيضة .

ماك كريجر : وهل يشق عليك أن تذهب فتحضر لنا واحدة منها ؟ وعندما تعود . . سأعزف لك لحنًا يجعل فؤادك يثب من بهجة . . ومن ألم .

روف : سأذهب فى الحال (يذهب روف)

ماك كريجر : (للجمهور) أيها الأصدقاء . . كم كان بودى أن أعزف لكم لحنًا آخر على هذا الناى ذى الحنجرة الذهبية ، لو لم أكن متعبًا من طول ما قطعت فى رحلتى الشاقة عن ديارى . . وإذا تفضل كل منكم فذهب إلى منزله، وعاد منه بعد قليل بلقمات أتبلغ بها ، فإنه يسرنى أن أجد فى نفسى من القوة ما أستطيع به أن أعزف لكم لحنًا ، أؤكد لكم أنه سيغير مجرى حياة كل منكم . . ويغيره . . خذوا بالكم . . إلى أحسن .

(ينصرف الجمهور ، وتكون إيستر كوزاك التى تسمع كلمة ماك إلى نهايتها آخر من ينصرف ، مطلقةً ساقيها للريح . ثم يجلس ماك وجونى وأبوه على الدرج فى سكون ، ويفد الناس بعد قليل حاملين طعامًا كثيراً لماك كريجر : فمن ذلك بيضة ، وسجق واثنتا عشرة بصلة خضراء ؛ ونوعان من الجبن ، وقطعة من الزبد ـ ونوعان من الخبز ؛ وبطاطس مسلوقة ؛ وطماطم طازجة وشمامة ؛ وشىء من الشاى . . وأشياء كثيرة أخرى) .

ماك كريجر : أشكركم يا أصدقائى . . أشكركم .

(ثم يقف فى وقار وينتظر حتى يسود الصمت ويشد عضلاته (أعنى يتمطع) ثم ينظر حوله فى تميز ، ويرفع نايه إلى شفتيه حتى إذا بدأ لحنه الجديد قاطعته إيستر كوزاك التى عادت تحمل باذنجانة . . فإذا ساد الصمت مرة أخرى أخذ ماك يعزف لحنه المحبب : قلبى فى ربى سكتلندا . . قلبى ليس هنا . . ولا يلبث الناس أن يسكبوا مدامعهم ثم يركعوا ليرددوا الأغنية فى ذهول واستغراق ـ حتى إذا انتهى ماك . . أخذوا ينصرفون واجمين فى حين يعود ماك إلى جونى وإلى أبيه ، وهو يقول فى تعاظم :

ماك : اجلسا . . لشد ما كان يسرنى أن أعيش معكم فى منزلكم هذا زمناً طويلاً لو لم يضايقكم هذا . .

(فيقول والد جونى فى ابتهاج وذهول) .

والد جونى : سيدى : ليس منزلى إلاّ منزلك .

ثم يدخلون جميعًا

* * *

المنظر الخامس

(غرفة الجلوس العامة ـ بعد ثمانية عشر يومًا ـ ماك مستغرق فى

نومه فوق الأرض ووجهه إلى أعلى ـ جونى يتمشى فى الغرفة فى هدوء ناظرًا إلى من فى الغرفة ـ أبوه جالس إلى المنضدة يكتب شعرًا ـ جدته جالسة فى الكرسى الهزاز فى هزات رتيبة ـ يسمع طرقًا على الباب ـ الكل ـ ما عدا ماك ـ يثبون ليروا من الباب) .

والد جونى : (وقد فتح الباب) ماذا ؟

شاب حدث : إنى أبحث عن جاسبر ماك كريجر . . الممثل .

والدجونى : وماذا تريد ؟

جونى : حسنا . . استأذنه فى الدخول على كل حال يا بابا . .

والد جونى : طبعًا . . طبعًا . . معذرة أيها السيد . . ألا تتفضل بالدخول ؟

(يدخل الشاب)

الشاب : اسمى فيليب كارميشيل . . من أهل بلاد الأقدمين . . وقد أرسلونى لأعود إليهم بالمستر ماك كريجر إلى الوطن .

ماك كريجر : (ينهض ويجلس) الوطن ؟ هل ردد أحد اسم الوطن ؟ (مزمجرًا) إنى على بعد خمسة آلاف ميل من الوطن . . وكنت دائمًا على هذا البعد من الوطن . . وسأظل منه على هذا البعد دائماً . . من هذا الفتى الصغير؟ . .

الشاب : مستر ماك كريجر . . أنا فيليب كارميشيل ، من أهالى بلاد الأقدمين ، وقد أرسلونى لأعود بك إليهم ، ونحن نستعد لحفلتنا التمثيلية السنوية التى ستقام بعد أسبوعين ، ونريدك للدور الرئيسى .

ماك : (ينهض بمساعدة جونى وأبيه) وما هو هذا الدور يا ترى ؟ . . فأنا لم أعد أستطيع تمثيل أدوار صغار المغامرين .

الشاب : الدور هو دور الملك لير يا مستر ماك كريجر ! إنه يلائمك تمامًا .

ماك كريجر : (بلهجة الممثل الذى عاد إلى عمله ثانية) وداعًا يا أصدقائى

المحبوبين . . (يعود من السدة) . . إننى لم يسعدنى الحظ قط بصحبة أناس أنبل منكم ، ولا أصفى قلوبًا ، ولا أروح إلى نفسى ، فى كل ما مر بى من الأيام ، وجميع ما زرت من البلاد . . وداعًا .

(يخرج فى صحبة الشاب)

(ثم يمضى لحظة من الصمت يشوبها الأسف والوحشة)

والد جونى : (بصوت عالٍ كمن قرصه الجوع) جونى . . إذهب إلى دكان البقال وأحضر لنا شيئًا نأكله . . أعتقد أنك تستطيع يا جونى . . أى شىء ! . .

جونى : (مغضبًا وبصوت عال هو الآخر ، وقد عضه الجوع أيضًا) مستر كوزاك يريد خمسة وخمسين سنتًا . . ولن يعطينا شيئاً بلا نقود .

والد جونى : هيا . . هيا . . اذهب إليه يا جونى ، ففى وسعك أن تحتال لهذا السيد السلافى حتى يعطينا ما نسد به رمقنا .

جونى : (مستيئسًا) أو . . با . .

والد جونى : (مزمجرًا ، مشدوهًا) إه ! أنت ، ولدى . تضيق بأبيك هكذا ؟ إلىّ إلىّ ! ! لقد حاربت الحياة وحدى على هذا النحو قبل أن تولد ، فلما ولدت ، حاربناها معًا ، وسنظل نحاربها إلى الأبد . . الناس يحبون الشعر ، لكنهم لا يعرفونه . . وهذه هى المشكلة ! . . إلا أن شيئاً لن يقف فى سبيلنا يا جونى . . فهلم إلى دكان البقال وهات لنا شيئًا نتبلغ به .

جونى : لا بأس يا أبى . . لا بأس . . سأحاول جهدى .

(يخرج جونى)

* * *

المنظر السادس

المنزل : وقد علقت عليه لوحة «للإيجار »

قبيل الشروق فى صبيحة من أوليات نوفمبر ١٩١٤ ، وقد آذن الشتاء . وسرب من الإوز طائر فى السماء موليًا شطر الجنوب وهو يزقو ؛

وهذا جونى جالس فوق درج السقيفة مسندًا ذقنه على يمينه ، حتى إذا سمع صوت الإوز . . أرهف أذنيه . . وهب واقفًا . . وجعل ينظر إلى السرب الطائر فى السماء . ثم لا يلبث صوت الإوز ينخفض ثم يتلاشى . . ويعود جونى إلى مجلسه فوق الدرج . . وتشرق الشمس . . فترف ابتسامة عريضة وادعة فوق وجهه ، ثم يقلب طرفه فى ضوء الصباح كأنه صديقه الحبيب الذى قامت بينه وبينه أسباب المودة . . وكلما ازداد الضوء ازداد هذا الأثر فى نفس جونى ، فانتشى بموسيقى روحية ، وهب واقفًا ، وولى وجهه شطر المشرق ، ورفع ذراعيه ، وشرع (يتشقلب) ، ثم يدور حول البيت .

ثم يمر قطار على مسافة غير بعيدة بحيث يضطرب بسيره سطح الأرض .

ويزداد ضوء الصبح . . ثم يقبل غلام فى الثالثة عشرة ، من باعة صحف الصباح ، وقد بدت عليه سيماء الكآبة والجد شأن من فرغوا من أعمالهم ، وهو يصفر صفيراً هادئًا ، وقد خلت حقيبته من الصحف التى تركها تحت أبواب زبائنه قبل أن يتنفس الصبح ، مؤذنًا بيوم جديد بعد أن مشى هذا البائس ساعتين فى شوارع البلدة فى ظلام الليل الدابر . أما اللحن الذى كان يصفر به ، فكان لحنًا هادئًا مشجيًا من تأليفه ، ومن ألحان الصباح الهادىء المشجى) . .

جونى : (وهو يهبط الدرج) آلو ! . . (هَيّا ! . .)

الغلام : (وقد وقف) آلو ! . . (هَيّا)

جونى : ماذا كان اللحن ؟

الغلام : أى لحن ؟ .

جونى : الذى كنت تصفره .

الغلام : أنا كنت أصفر ؟

جونى : طبعاً . . ألم تكن تشعر ؟

الغلام : أظننى أصفر دائماً .

جونى : وماذا كنت تصفر ؟

الغلام : لا أدرى .

جونى : أتمنى لو استطعت التصفير .

الغلام : أى إنسان يستطيع التصفير .

جونى : أنا لا أستطيع ـ كيف تصفر ؟

الغلام : لا تقل كيف . . هلم . . صفر !

جونى : كيف ؟

الغلام : هكذا . . (يبدأ فى الصفير وشرح عمليته شرحًا فنياً) .

جونى : (معجباً) كم أتمنى لو استطعت عمل ذلك !

الغلام : (مسروراً ومتشوقاً إلى التأثير أكثر فى جونى) ليس هذا عسيراً . . إصغ إلى هذا (يعاود صفيره ثانية) .

جونى : ألا يمكنك أن تعلمنى ذلك ؟

الغلام : لا يمكن أن أعلم الصفير لأحد . . بل صفر أنت . . وإليك طريقة أخرى . .

(يصفر صفيراً حلواً هو صفير باعة الصحف) .

جونى : كهذا ؟ . . (يبدأ الصفير) .

الغلام : تماماً . . هذا هو البدء . . استمر ، وسيأخذ فمك الشكل الحقيقى . . وسترى أنك تعلمت التصفير دون أن تدرى ! .

جونى : صحيح ؟ ! .

الغلام : مؤكد !

جونى : هل أمك ميتة ؟

الغلام : وكيف عرفت ؟

جونى : أمى ميتة أنا أيضًا !

الغلام : صحيح ؟ .

جونى : آى . . لقد ماتت .

الغلام : أنا لا أتذكر لى أمّا . . هل تتذكر أمك ؟

جونى : أنا لا أتذكرها تمامًا . . ومع هذا ، فأنا أحلم بها أحياناً .

الغلام : وأنا أيضًا ـ لقد كنت أحلم بها .

جونى : ولم تعد تحلم بها الآن ؟

الغلام : (زائغًا) لا ـ وما فائدة هذا لك الآن .

جونى : أمى كانت جميلة . . أؤكد لك .

الغلام : طبعًا . . أعرف هذا . . أتذكر . . ألك أب ؟ . .

جونى : (تيّاهاً) أوه . . طبعاً . . إنه الآن فى المنزل نائم .

الغلام : أبى . . ميت أيضاً .

جونى : وأبوك أيضًا ؟ . .

الغلام : (مؤكدًا) أجل . .

(يشرعان يتقاذفان بكرة تنس فيما بينهما)

جونى : أليس لك أهل ؟

الغلام : لى خالة ـ إلا أنها ليست خالتى على التحقيق ـ فلقد نشأت فى ملجأ وأنا متبنى .

جونى : وماذا يكون هذا الملجأ ؟

الغلام : ذاك مكان يتربى فيه أولئك الغلمان الذين ليس لهم أب ولا أم حتى يتبناهم واحد من الناس .

جونى : وما معنى أن يتبناهم أحد ؟

الغلام : يأتى إلى الملجأ من ليس له ابن أو ابنة ، فيلقى نظرة على أولاد الملجأ وبناته، ثم يذهب بمن يقع عليه اختياره منهم . . فإذا وقع اختيارهم

عليك مثلاً . ذهبوا بك لتعيش معهم .

جونى : وهل يرضيك هذا ؟

الغلام : لا بأس به . .

(ويترك الكرة تسقط على الأرض)

جونى : وما اسمك ؟

الغلام : هنرى . . وما اسمك ؟

جونى : جونى .

الغلام ألك فى جريدة تقرؤها ؟ . . هناك حرب فى أوربا !

جونى : ولكن . . ليس معى نقود . . نحن لسنا أغنياء . . ولا عمل لنا . . أبى يقرض الشعر !

الغلام : (وهو يعطى جونى جريدة باقية معه) أوه . . عال عال . . ألا تكسبون نقوداً مطلقاً ؟

جونى : أحياناً . . لقد عثرت مرة على ربع ريال . . فى جانب الطريق ـ أمامى مباشرة ـ وقد تسلم أبى مرة أخرى شيكا بعشرة ريالات من نيويورك . . فاشترينا دجاجة وطوابع بريد وأوراقاً وأظرفًا . . ولما لم تكن الدجاجة تبيض ، فقد ذبحتها (ستى) وطهتها لنا . . هل ذقت الدجاج قط ؟

الغلام : أذكر أننى ذقت الدجاج ست مرات أو سبعًا . .

جونى : وماذا عساك تعمل حينما تشب وتصير رجلاً ؟

الغلام : أوه . . لا أدرى ! . . لا أدرى ماذا عساى أفعل

جونى : (فى خيلاء) أما أنا . . فسوف أكون شاعراً . . مثل أبى . . وهو يقول ذلك .

الغلام : أما أنا . . فأكبر ظنى أننى سأظل بائع صحف . . زمناً ما . . (ثم يوشك أن يذهب) حسنًا . . طاب صباحك .

جونى : ألا تمر بمنزلنا مرة أخرى ؟

الغلام : إنى أمر بمنزلكم صبيحة كل يوم ، فى مثل هذا الميعاد . . ومع هذا فإنى لم أرك من قبل .

جونى : (مبتسماً) لقد رأيت مناماً . . فاستيقظت ، ولم أرد أن أنام بعد . ولهذا فضلت أن أخرج إلى هنا . . لقد رأيت أمى !

الغلام : عسى أن أراك صبيحة أخرى . . إذا لم ترد أن تنام .

جونى : أرجو ذلك ـ طاب صباحك .

الغلام : طاب صباحك . . أوصيك بمحاولة الصفير دائماً . . وسترى أنك تجيده قبل أن تعرف . .

جونى : شكراً .

* * *

(يمضى الغلام وهو يصفر . . ويلقى جونى بالصحيفة فوق أرض السقيفة ـ ثم يجلس ثانية على الدرج . .

تخرج جدته بمكنسة ثم تشرع فى الكنس) .

الجدة : (بلسان أرمنى لا تحسن أن تتكلم غيره باستثناء التركية والكردية وقليل من العربية ، وهى لغات لا يفقهها أحد فى هذه الجهة) كيف حالك يا حبيبى ؟

جونى : (الذى يفهم الأرمنية لكنه لا يتكلمها ـ يجيب بالإنجليزية) عال ! . .

الجدة : وكيف حال أبيك ؟

جونى : لا أعرف (ثم ينادى أباه بصوت مرتفع) أُوه ! . . بابا ! . . كيف حالك؟ . . (وتمضى لحظة ثم ينادى بصوت أكثر ارتفاعًا) بابا ! . .

(وتمضى لحظة صمت ، ثم يقول :) أظنه نائماً .

الجدة : أتوجد نقود ما ؟ . .

جونى : نقود ؟! . . (هازًا رأسه) لا !

والد جونى : (من الداخل) جونى ؟

جونى : (قافزاً) با . .

والد جونى : هل ناديت ؟

جونى : أجل . . كيف حالك ؟

والد جونى : عال . . وأنت ؟

جونى : عال . . أنا أيضاً .

والد جونى : وهل هذا كل ما أيقظتنى من أجله ؟

جونى : (لجدته) إنه بخير !

(ولأبيه بصوت أعلى) ستى العجوز كانت تريد أن تعرف كيف أنت؟ . .

والد جونى : (بالأرمينية) صباح الخير يا ماما . .

(وبالإنجليزية لجونى) وماذا تعنى بقولك العجوز؟ . . إنها ليست عجوزًا إلى هذا الحد .

جونى : أنا لا أقصد أنها عجوز . . أنت تعرف ما أقصد .

(ثم يخرج والد جونى وهو يزرر قميصه ، ويومىء إلى السيدة ، ثم يرمق الشمس بطرف ناظره ، كما كان يصنع تمامًا ، ويبتسم مثله أيضاً وهو يصنع ذلك ـ ثم يتمطى وهو يواجه الشمس ، ويهبط على الدرج ، فإذا حاول أن (يتشقلب ! . .) انبطح على الأرض ، فوق ظهره) .

جونى : يجب أن تأخذ نصيبك من الرياضة يا بابا . . إنك دائماً . . جالس . .

والده : (وهو لا يزال منبطحًا على ظهره) جونى . . أبوك شاعر عظيم . . وقد لا يحسن أن (يتشقلب) مثلك . . ولكن إذا كنت تريد أن تعرف أى رياضى أنا . . فاقرأ ما كتبت من الشعر أمس :

أهو شعر جيد حقيقة يا أبى ؟

جونى : جيد ؟ (ثم يثب واقفًا كالبهلوان) إنه عظيم . . شعر من النسق العالى .

والده : وسأرسل به إلى مجلة الأطلنطك الشهرية أيضًا .

جونى : أو . . لقد . . نسيت يا بابا . . يوجد جريدة فى السقيفة .

والده : (وهو يصعد الدرج) أتعنى جريدة صباحية ؟

جونى : أجل .

والده : عال جدًا . . هذه مفاجأة سعيدة . . ومن أين جئت بها بالله عليك ؟

جونى : لقد أعطاها هنرى لى .

والده ومن هنرى ؟

جونى : ولد لا أم له . . ولا أب . . ويستطيع أن يصفر أيضًا ! .

والده : (وهو يلتقط الصحيفة ويفتحها) لقد كان هذا تفضلاً منه .
(يتصفح العناوين)

الجدة : (بالأرمينية إليهما ، وإلى نفسها ، وإلى العالم أجمع) أين ذهب هذا الرجل ؟

والدجونى : هم . . (متنحنحًا ، مستغرقًا فى قراءة الأخبار) .

جونى : أى رجل ؟

الجدة : أنت تعرف . . الرجل الذى كان يعزف لنا على الناى .
(وتقلد العزف على الناى)

جونى : أوه . . تقصدين مستر ماك كريجر ـ لقد أخذنى إلى بلاد القُدامى ! . .

والده : (قارئًا فى الصحيفة) النمسا . . ألمانيا . . فرنسا . . إنجلترا . . روسيا . . مناطيد زبلن . . غواصات . . دبابات . . مدافع قنابل !! . .
(ثم يهز رأسه آسفاً) لقد جُنُّوا مرة أُخرى !

الجدة : (مؤنبة جونى) لماذا لا تتكلم بالأرمينية يا ولد ؟

جونى : لا أستطيع أن أتكلم الأرمينية .

والده : (إلى جونى) ماذا ؟

جونى : تريد أن تعرف أين ذهب المستر ماك كريجر .

الجدة : (إلى والد جونى) أين هو ؟

والد جونى : (بالأرمينية) . لقد عاد إلى بلاد القدامى .

الجدة : أخ . . أخ . . يا للسجين العجوز المسكين !

جونى : وهل بلاد القدامى سجن يا أبى ؟

والد جونى : لا أدرى وحقك يا بنى !

الجدة : (فى ثورة مثلما يتحدث ابنها وحفيدها عندما يختلفان) ولماذا لا يعود ليعيش معنا هنا . . حيث لا يصلح له مكان آخر ؟ . .

(ثم تدخل)

جونى : هذا صحيح يا أبى ! . . لماذا لا يعود مستر ماك كريجر ليعيش معنا ؟ . . أحتمٌ عليه أن يبقى فى بلاد القدامى ؟

والده : لو أنك رجل عجوز ، طاعن فى السن يا جونى . . وليس لك أهل . . ولا فى جيبك نقود . . فأكبر الظن أنك تكون كالمستر ماك كريجر !

جونى : لشد ما اشتاق إليه أحيانًا يا أبى !

والده : وأنا أيضًا وحقك يا جونى ! . .

جونى : إنى لا أفتأ أذكره . . ولا سيما موسيقاه . . وطريقة شربه !

والده : إنه رجل عظيم !

جونى : هل صحيح أن قلبه فى ربى سكتلندا كما يقول يا أبى ؟

والده : ليس تمامًا ! .

جونى : وهل يبعد حقّا بخمسة آلاف ميل عن وطنه ؟

والده : على الأقل بهذا المقدار !

جونى : وهل تظن أنه قد يصل إلى بلاده يومًا مع ذلك ؟

والده : إنه رجل عجوز يا جونى . . وسيصل !

جونى : تقصد أنه سيركب القطار والباخرة حتى يصل إلى ربى سكتلندا ؟

والده : ليس بهذه الطريقة يا جونى . . إن الأمر يختلف عن ذلك كله . . إنه سيموت !

جونى : سيموت ؟ . . وهل هذه هى الطريقة الوحيدة التى يعود بها الإنسان إلى وطنه ؟ . .

والده : هذه هى الطريقة الوحيدة .

(فى خلال هذا الحديث كله . . كان والد جونى يتصفح الجريدة . . كما كان جونى يقوم (بشقلباته البهلوانية) قاطعًا السقيفة بحركاته ، ماشيا مرة على يديه ، وواقفًا مرة أخرى على رأسه . . وكان يسأل كثيرًا من أسئلته وهو منكفىء فى ذلك الوضع العجيب !

(يسمع فجأة صفير مرتفع من بعد)

جونى : (بلهفة) إنه مستر وَيْلى Wiley . . ساعى البريد يا بابا .

(يثب والد جونى واقفًا . . قاذفًا الصحيفة على الأرض)

جونى : أتظن أنه ربما أحضر خطاباً من نيويورك . . وبه . . شيك ؟ . .

والده : لا أدرى يا جونى !

(يصل المستر ويلى على دراجته . . فيكاد جونى ووالده يوقعانه من فوقها من شدة التلهف !) .

مستر ويلى : (بعد أن ينزل من فوق الدراجة برشاقة كأنما ينزل من فوق جواد) سعد صباحك يا مستر ألكسندر .

والد جونى : سعد صباحك يا مستر ويلى .

جونى : أمن خطاب لنا ؟ . . مستر ويلى ؟ . .

مستر ويلى : (وقد أخرج رزمة من الخطابات من حافظته ، وهو يفكها ويفرزها) ربما يا جونى . . أحسب أن لأبيك معى خطابًا ما . .

جونى : أهو من نيويورك ؟

مستر ويلى : (وقد أمسك بمظروف كبير) أجل . . إنه من نيويورك يا جونى . حسنا ـ مستر ألكسندر . . يبدو أن الشتاء ينوى أن يعود من جديد . فقد كان الإوز يجوب بأجواز السماء هذا الصباح .

والد جونى : (ثائر الأعصاب ، متوتراً ، متشوقًا) أجل . . أعرف .

(لنفسه) أعرف . . أعرف .

جونى : إذا قسم لى أن جاءنى خطاب من نيويورك ، فسأدخر ما يجىء به من نقود !

مستر ويلى : (لمجرد الكلام فحسب) كيف الأحوال يا مستر ألكسندر ؟

والد جونى : لقد كنت موفقًا فى عملى . . شكراً لك يا مستر ويلى .

جونى : لقد ذهب والدى مرة إلى نيويورك . . أليس كذلك يا بابا ؟

الجدة : أجل . . حدث هذا . . كيف العائلة يا مستر ويلى ؟

مستر ويلى : كلهم بخير . . إلا أصغرهم . . جو . . الذى لا ينفك يبكى . . وهو الأمر الذى لا أطيقه . . هذا البكاء الذى لا ينقطع . ومع أنى لا أدرى ماذا يصنع بكاؤه بى ، إلا أنه يجعلنى أفقد الثقة بكل شىء . . فعندما يبكى جو . أقول لنفسى : أو . . ما فائدة هذا ؟

جونى : أظن أننى سوف أذهب إلى نيويورك يومًا ما . . قبل أن أموت ! . .

والد جون : هون عليك يا مستر ويلى . . فسيقلع جو عن البكاء بعد قليل .

مستر ويلى : لعل وعسى . . ينصف إذا أقلع عنه قريباً .

(ينسى المستر ويلى فيذهب بالمظروف دون أن يسلمه)

والد جونى : مستر ويلى !

(يعود مستر ويلى فيسلم المظروف ، ثم يحيى ويركب الدراجة وينطلق بها . .

ووالد جونى يمسك بالمظروف وهو يتلهف إلى فتحه . . إلا أنه خائف مع ذلك . .) .

جونى (فارغ الصبر) حسنًا يا والدى . . هلم فافتح المظروف . . ماذا تنتظر ؟

والده : (مغضبًا . . مزمجراً) جونى . . إنى متعب ! . . ولا أفهم لماذا ؟ أنا . . أبوك . . لا أفهم كيف يمكن أن أمتلىء رعبًا ! .

جونى : ليس فى صوتك ما يدل على الرعب يا أبى . . وممن ؟

والده : من مجلة الأطلنطك الشهرية . . لا شك ، وأنت تتذكر هذه القصائد

التى أنشأتها منذ كان المستر ماكريجر هنا !

جونى : لعلهم اشتروا هذه القصائد ! .

والده : اشتروها ؟ . . يا حبيبى ! . . إنهم لا يشترون الشعر يا جونى . . إنهم يملأون حياتنا رعبًا حتى يحين حيننا يا ولدى !

(يقرأ اسمه وعنوانه فى تهدج وفزع ومرارة) . .

« ابن ألكسندر ٢٢٢٦ شارع سان بنيتو ، فرسنو ، كاليفورنيا » .

جونى : إذن فالمظروف لك يا أبى . . ما فى ذلك شك . . فلماذا لا تفتحه ؟ .

والده : إنى أرتجف خوفًا . . قلت لك . . استولى علىّ الذعر والعار . . لقد كانت أشعارى هذه عظيمة . . فكيف يمكن أن أفزع ؟

جونى : (متحديًا) إذن . . فلا تفزع يا أبى !

والده : (مغضباً) لماذا ينشد الناس كل شىء . . إلا أحاسن الأشياء؟ . . لماذا لا يألون جهدًا وراء ما يوردهم موارد الموت ، وينبذون كل ما يهبهم الحياة؟ . . لا أستطيع أن أفهم السر فى هذا . . لا أمل لأحد . . لا أمل لأىّ من الناس !

جونى : بل أحسن الآمال يا أبى !

(فى ثورة) وما هذه الأطلنطك الشهرية الملعونة ؟ . .

والده : (غاضبًا) جونى . . إليك عنى . . أرجوك . . إليك عنى .

جونى : (غاضبًا كذلك) وهو كذلك يا أبى . . وهو كذلك!

(يدور جونى حول البيت ، ثم يظهر ثانية ، وينظر إلى أبيه لحظة . . ثم يدرك أنه ينبغى أن يتوارى من طريقه) .

(لا يخفى أن والد جونى قد عرف أن الأطلنطلك الشهرية قد ردت إليه قصائده ، كما لا يخفى أنه لا يصدق كيف ردت هذه القصائد . . ولا يخفى كذلك أن القصائد من أعظم الشعر وأجوده ، لأن الرجل نفسه عظيم . . وهو لا يفتأ يذرع الأرض كالنمر المهيج . . ويبدو وكأنه يكلم

الدنيا كلها ، وإن كانت شفتاه مقفلتين لا تنبسان . . ثم هو يفتح المظروف آخر الأمر ثم يلقى بالظرف ، ويتصفح القصائد ، فيسقط منها فرخ من الورق الأبيض الثقيل على أرض السقيفة ، فى حين يقرأ بعضها معجباً بها أيما إعجاب ، وهو لا يفتأ يقلبها صفحة بعد صفحة . .) .

والد جونى : آه . . أيها الأغبياء المجانين التعساء !

(ثم يجلس على الدرج ، دافنًا وجهه فى راحتيه ، وقد ألقى القصائد جانبًا ، وبعد دقائق يركل القصائد فتسقط من فوق الدرج إلى الأرض ، ثم يتناول الجريدة الصباحية فيجيل عينيه فى عناوينها ثانية . .

وفى هدوء . . وثورة دفينة . . يتهدج صوته مرتفعًا رويدًا رويدًا . .

والد جونى : هيا هيا . . اقتلوا الناس جميعًا . . أعلنوا الحرب بعضكم على بعض . . خذوا الناس بالألوف واسفكوا دماءهم فى حومة الوغى . . قلوبهم وأرواحهم . . وأبدانهم . . شوهوا ما أبدعت يد القدرة منهم . . امسخوا أحلامهم ، واملأوهم ذعرًا . . وأفعموا قلوبهم بالكراهية لبعضهم بعضًا . . دنسوا خرافة العيش أيها المعاتيه الذين تقاس عظمتهم بعدد من يقتلون .

(يظهر جونى فى جانب من المنزل ، دون أن يراه والده ، مصغيًا إلى ما يقول . . تأخذ السماء فى الإظلام) .

أنتم أيها النصابون الذين يتغفلون العالم . . أيها الأشقياء الأشرار (ثم يقف فيشير بإصبعه كأنما يومى إلى العالم بأجمعه) هيا هيا . . أطلقوا مدافعكم الضعيفة العاجزة . . فلن تقتلوا شيئًا . . ولن تقضوا إلاّ على أنفسكم . .

(ثم يهدأ ويبتسم)

وسيكون فى الدنيا شعراء دائمًا .

(تلمع بعض البروق الخفيفة فى الأفق) .

* * *

المنظر السابع

(الظلام مخيم على المنزل منذراً بهبوب عاصفة . . يسمع من بعيد صوت رعود شديدة ، يتلوه وميض برق ، وقد وقف والد جونى على درج السقيفة يبتسم حولها . . والقصائد الشعرية مبعثرة على الدرج ، والمظروف ملقى على أرض السقيفة . . والجريدة كذلك . . وقد مضت بضع ساعات) . .

والد جونى : (يهز رأسه فى بله . . كأنه لا يريد أن يعترف بالواقع)

جونى : (يدمدم فى صوت مختنق) . .

(ثم يدمدم فى صوت أعلى قليلاً) . .

(ثم يدمدم فى صوت أرق مما فعل أولاً) . .

(ثم يزمجر . .) . .

(ثم يدور حول البيت حتى يقف تلقاء أبيه فى استحياء) .

والد جونى : (فينظر والده إلى السماء وكأنما ينقدح الشرر من عينيه . . متحديًا ممرورًا . . لا ينثنى له عود . . جباراً)

والد جونى : (فى لطف . . ولكن فى فيض روحى عظيم) هل تناولت فطورك ؟

جونى : لست جوعونًا يا أبى . . (يقولها فى خجل) .

والده : بل يجب أن تدخل الآن . . وتأكل .

جونى : لست جوعونًا . .

والده : بل تفعل ما أقوله لك .

جونى : لن آكل حتى تأكل أنت !

والده : بل تفعل ما أقول !

جونى : لا . . لن آكل حتى تأكل !

والده : أنا لست جوعانًا !

جونى : سأذهب إلى دكان المستر كوزاك . . وسأحاول أن أعود بشىء نأكله .

والده : (وقد أحس بشيء من الخزى . . قابضًا على ذراع جونى)
لا يا جونى !
(ثم يحتبس صوته عن الكلام . . وهو يحاول أن يجد ما يقوله عما بينهم وبين البقال) .
جونى . لقد ظننت أننا ربما حصلنا على شيء من النقود . . ولم أكن أتصور أن تجرى الأمور على هذا النحو . . فادخل أنت وكل . .
جونى : (صاعدًا على الدرج)
ولابد أن تأكل أنت الآخر . .
(ثم يدخل المنزل) . .
(يلمع برق خفيف) . .
(يدخل رجل فى حلة من حلل رجال الأعمال ، ومعه زوج وزوجة تحمل طفلاً . .) . .
رجل الأعمال : هذا هو المنزل . . الإيجار ستة دولارات فى الشهر . . والمنزل ليس بديعًا حقّا . . إلاّ أنه يدفع غائلة البرد والمطر .
والد جونى : (يجيل فيهم عينيه الجامدتين !) .
(يعلو الدرج مادًّا يده إلى والد جونى . . وقد وقف الآخرون وراءه)
هل تذكرنى ؟ أنا الذى علقت ورقة الإيجار !
والد جونى : أذكر . . أذكر . . كيف حالك ؟
رجل الأعمال : (مرتبكاً) عال . . مستر كورى ، صاحب المنزل ، مسافر . وهؤلاء يبحثون عن مسكن . . يأوون إليه فى الحال !
والد جونى : لا بأس . . ففى وسعى أن أرحل فى أى وقت . . أمعهم أثاث ؟
الرجل : (ملتفتًا إلى المستأجرين) أمعكم أثاث ؟
الزوج : لا . .
والد جونى : تستطيعان أن تشتريا أثاثى . . إنه غير كثير . . إلاّ أنه يكفى . . ومن

ضمنه موقد لا بأس به .

الزوجة : (بشمم الفقراء) قد لا نحتاج إلى أخذ أثاثك .

والد جونى : خير ؟ إنى لم أدفع الإيجار لمدة ثلاثة أشهر . . وسأترك الأثاث مقابل الإيجار .

(يحاول رجل الأعمال أن يتكلم)

والد جونى : خير خير . . يؤسفى ألاّ يكون معى الثمانية عشر ريالاً ـ والأثاث يساوى هذا المبلغ (إلى رجل الأعمال) وتستطيع أن تدع هؤلاء الإخوان يستعملونه حتى يعود مستر كورى (إلى المستأجرين) أتحبان رؤية المنزل .

الزوج : يبدو أنه مناسب

رجل الأعمال : (وهو يهم بالانصراف) . . إذن اتقفنا . . الإيجار ستة دولارات شهريّا . . والماء علينا .

والد جونى : وتستطيعون التسلم فى أى لحظة .

الزوج : نشكرك كثيرًا . . ربما عدنا هذا المساء . . أو باكر .

(وبينما هم ينصرفون يأتى جونى وفى يده طبق به قطعتان من الخبز ، وعنقود صغير من العنب) .

جونى : من هؤلاء ؟

والده : ناس كانوا يمرون من هنا .

جونى : وفيم كنتم تتحدثون ؟

والده : مجرد حديث يا جونى .

جونى : (مغضّبا) لا تضق بالدنيا هكذا يا أبى .

والده : (ملتفتًا إليه وهو يرمقه بحنان وذهول وشغف وغبطة ، ثم ينفجر ضاحكًا فجأة)

أنا لست ضائقًا بالدنيا يا جونى . . لندع الدنيا تكن هى الدنيا . . وليسبغ الله حبه على الجميع !

جونى : (منبسطًا) عظيم عظيم . . هلم نأكل . .

(يضع الطبق على السلمة العليا ، ويجلسان ، ثم يأخذان فى أكلهما)

(يمضيان فى الأكل صامتين ، وكل منهما يرمق الآخر بطرف عينه . .

(وجونى يحدج أباه كما كان يحدج الشمس ، وأبوه يبادله النظرة نفسها . .

(فيبتسم جونى ؛ ويبتسم أبوه أيضاً) .

جونى : هل تحب العنب يا بابا ؟

والده : طبعًا . . إنى أحب العنب .

جونى : بابا ؟

والده : ماذا ؟

جونى : هل الدنيا تشبه السجن حقّا ؟

والده : أحيانًا ، لا أشك فى أنها تشبهه . . وأحيانًا ، لا يمكن أن تكون كذلك .

جونى : لست أفهم !

والده : إنها هذا وذاك . . بالتساوى يا جونى ! فيها من الخير ، قدر ما فيها من الشر .

جونى : أقصد . . إن كنت تظن أنه يحن إلى بلاده أحيانًا ؟

والده : بالتأكيد . . لشد ما يحن إليها !

جونى : أتمنى أن يعود إلينا !

والده : وأنا أيضًا . . بودى لو أراه ثانية .

جونى : إنى لا أبرح أذكره .

والده : وأنا كذلك . . وسأظل أذكره دائماً .

جونى : وأنا يا بابا . . أكان لزامًا عليه أن يذهب ؟

والده : أظن ذلك .

جونى : لقد كان يبدو كأنه رجل صغير ظريف .

والده : أتعنى ذلك الشاب الذى جاء . . وذهب به ؟

جونى : طبعًا . . ذلك الشاب الذى كان يتكلم بحدة ، كأنما كان يخطب الجماهير . .

والده : لقد كان شابًا طيبًا

(لم تبق إلا عنبة فى الطبق)

جونى : تفضل يا أبى . . خذها . .

والده : (مغتبطًا) كلا يا جونى . . إنها لك . . لقد كنت أعد . . .

جونى : حسنًا . . (يتناولها ويأكلها) أتعدّ هذه سرقة يا أبى !

والده : (ساخرًا) هيه ! بعضهم يعدّها سرقة ، وبعضهم لا يعدّها كذلك (جادا) أما أنا . . فلا أعدّها سرقة أبدًا . . (ثم يصيح بجونى) لقد أخذت هذا العنب من الكرم . . أليس كذلك ؟

جونى : أجل . . لقد أخذته من الكرم يا أبى . .

والده : (ساخرًا) إذن . . فلا يمكن أن تكون هذه سرقة أبداً .

جونى : ومتى تكون سرقة إذن ؟

والده : (مرسلاً الكلام على عواهنه) فى نظرى يا جونى . . السرقة تكون حيث يلحق ضرر أو إيذاء ، لا داعى إليهما بشخص برىء ؛ بحيث تحصل من ذلك فائدة أو سلطان ، لشخص غير برىء .

جونى : أوه ! . . (لحظة من الصمت) عال . . إذا لم تكن هذه سرقة إذن . . فأحسب أننى أستطيع أن أذهب ، لأحضر قدراً آخر . .

(ثم ينهض)

سيستريح ظهر الأرض منهم جميعًا فى القريب العاجل . .

(يختفى)

والد جونى : (ضاحكًا) يا ولدى يا جونى ! . . لشد ما كنت سعيدًا يا إلهى ! . .

ولشد ما أنا شاكر ! . .

(ثم يلتقط أصول القصائد ، ويضعها فى جيبه ، ويمضى فى الشارع)

المنظر الثامن

(فى داخل محل المستر كوزاك الذى يكون نائمًا كعادته على ذراعه المثنية تحت رأسه . . ومحله أتعس حالاً من قبل . . ويظهر أن عائلة المستر كوزاك هى التى كانت تأكل البضاعة . .

يدخل والد جونى فى انكسار ، وخجل ، فيرفع المستر كوزاك رأسه ، ويومىء بعينيه ، ثم يقف) .

والد جونى : (كالذى يشعر بذنبه) أنا والد جونى ! . .

(يقف الرجلان وكل منهما يحملق لحظةفى وجه الآخر ، مرتبكين ، متأثرين ، سعيدين مع ذاك ، وكل منهما محنق من نفس الأمور التى تسود العالم . . الشره . . والخداع . . والقسوة . . وانعدام التناسب . . ثم يبتسمان . . ويتصافحان فى حرارة) !

مستر كوزاك : أنا أعرفك . . لقد تحدث إلىّ جونى عنك . . مجيئك تشريف لى .

والد جونى : إنك رجل شفيق .

مستر كوزاك : لست . . أفهم ! . .

والد جونى : جئت لأسلم عليك . . لأودعك . . ولأعتذر . . وأشكرك ! . .

مستر كوزاك : (بسرعة) أرجو ألاّ تكون منتويًا الرحيل ! . .

والد جونى : بلى . . بكل أسف .

مستر كوزاك : لشد ما سنفتقد جونى . . . كلنا !

والد جونى : ليس معى نقود . . وأنا مدين لك !

مستر كوزاك : لا شىء . . لا شىء . . هذا شىء لا قيمة له !

والدجونى : وقد لا أراك ثانية .

(يخرج أصول أشعاره من جيبه) .

(بقوة) أنا شاعر . . وهذه بعض قصائدى (مستدركًا) وأنا لا أقدمها لك مقابل دينى . . فالنقود شىء آخر . . (ضارعًا) فهل تتفضل فتتقبلها . . مقابل شفقتك ؟

مستر كوزاك : (فى إخلاص وحرارة) لا يمكن أن آخذ قصائدك .

(لحظة)

والد جونى : أرجو أن تكون تجارتك ناجحة !

مستر كوزاك : الناس ليس معهم نقود . . وأنا لا أدرى كيف آتى ببضائع جديدة؟ . .

والد جونى : شىء مؤسف !

مستر كوزاك : وفى الشتاء تكون الحالة أسوأ . . فدور تجهيز المأكولات مغلقة ، ولا توجد أعمال ، ولذلك فلا يوجد عمال لأبيع لهم بقدر المستطاع . . أما هذا الشتاء فليس معى من النقود ما أشترى به بضائع جديدة . . وربما اضطررت إلى إغلاق المحل الذى لا يكاد ينهض بمطالب أسرتى .

والد جونى : (متأثراً حزيناً) هذه القصائد . . اسمح لى بأن أقول لك : إنها أبدع ما نظمت فى حياتى . . وبودى أن أتركها معك .

(إستر ، ابنة المستر كوزاك ، تدخل من الباب الخلفى للمحل ، وهى طفلة جميلة فى السابعة) .

مستر كوزاك : هذه ابنتى إستر . . إستر ، هذا والد جونى .

والد جونى : لقد حدثنى عنك جونى .

إستر : كيف حالك ؟

(مغتبطة ، ولكن فى استحياء)

مستر كوزاك : إنهم مسافرون .

إستر : (كأنها صدمت) أوه !

والد جونى : جونى سيفتقدك .

(ترتجف شفتا إستر ، وتغرورق عيناها بالدموع ، ثم تهرب . .)

مستر كوزاك : كل شيء هو من هذا القبيل !

والد جونى : إنهم أطفال .

مستر كوزاك : أجل إلا أن هذه سنة الحياة منذ بدء الخليقة ولن تجد لسنتها تبديلاً ، والنساء فقط لا يُصَدقن !

والد جونى : ألا تعطيها هذه القصائد !

مستر كوزاك : أرجوك . . لا شيء . . إنها ستبكى قليلاً . . ثم . . لا شيء! . .

والد جونى : هاكها . . (يدفع إليه بقصائده) إنك تصنع فىّ معروفًا إذا احتفظت بها .

(بصوت مرتفع . . إلى الله . . والعالم أجمع)

ألا ترى ؟ . . يجب أن يقرأ الشعر ليكون شعرًا ، وقد لا أكون فى حاجة إلاّ إلى واحد فقط من القراء . . فإذا كان ذلك كذلك . . فلا أريد أن يكون هذا القارىء إلا أنت !

مستر كوزاك : شكراً . . أنا لا أستحق هذا . .

والد جونى : (مبتسمًا) وداعًا . . طابت أيامك .

مستر كوزاك : وداعًا . . طابت أيامك يا سيدى !

(يذهب والد جونى . . فيقف كوزاك فى وسط دكانه ، ثم يخرج نظارته ويضعها على أرنبة أنفه ، ويفتح القصائد ، ثم يشرع فى قراءتها فى صوت هادىء ناعم ، وتأخذ مشاعره فى التغير ، فى حين ينهمر المطر فجأة ، وتدخل إستر من الباب الخلفى) .

مستر كوزاك : (قارئاً . .)

أنا إن كنت بأطباق الثرى

أو بأعماق البحار الزاخرات

لاصقًا بالصخر لن أنسى الهوى

فاذكرى ودى وحبى يا حياتى

(تأخذ إستر فى نشيج مؤلم ، فيلتفت والدها . . ويذهب إليها . .)

* * *

المنظر التاسع

غرفة الجلوس بعد حوادث المنظر السابق بمدة ، وقد جلس والد جونى إلى المائدة ، ناظراً إلى رزمة من الأوراق التى كتب فيها قصائده . . والمطر لا يزال ينهمر ، وهو لا يفتأ يذهب إلى النافذة لينظر من خلالها الفينة بعد الفينة) .

والد جونى : قاتله الله ماذا حدث له ؟

(ثم يعود من النافذة فيجلس إلى قصائده يتصفح بعضها ، ثم يتبرم بها فيلقيها ويذهب إلى النافذة مرة أخرى ، ثم يأخذ فى ذرع الغرفة جيئةً وذهابًا . . وهو فى منتهى القلق . .

ثم يصل جونى آخر الأمر ، واثبًا على سلم السقيفة ، فيفتح الباب بلهفة ، ويدخل ، ويطرق الباب خلفه ثم يغلقه بالمزلاج ، وهو يلهث ويضطرب من الفزع ، فنعرف أن أحداً يقص أثره ، ونراه يحمل أربعة عناقيد من العنب الأحمر القانى ، وست تينات ، ورمانتين . .)

جونى : (وهو يلهث مفزوعًا) بابا . . أين أخبيها . . أين أخبيها ؟

والده : ماذا يا جونى . . ماذا ؟

جونى : لقد قلت إنها ليست سرقة يا بابا !

والده : (فى ارتباك ظاهر) حسنًا . . إنها ليست سرقة .

جونى : فمال كلب الفلاح إذن ؟

والده : عم تتحدث ؟ . . أى كلب ؟

جونى : كلب الفلاح الذى ظل يعدو خلفى طول الطريق إلى هنا .

والده : كلب ! . . تريد أن تقول إن كلبًا عدا خلفك ؟ وماذا كان شكله ؟

جونى : لم تكن لدى الفرصة لكى أنظر إليه فيها . . ولكن . . أغلب الظن أنه كلب كبير وفظيع !

والده : (وقد أغضبه هذا التحقير) كان الله فى عونك يا بنى ! . . وهل حاول هذا الملعون أن يعضك ، أو يصيبك بأذى ؟

جونى : لا أظن يا والدى . . لا أظن . . إلاّ أنه كان موشكًا ان يفعل فى أى لحظة .

والده : وهل هم بك ؟

جونى : لم يهم تمامًا . .

والده : فماذا حدث إذن ؟

جونى : لقد كان يجرى ورائى تمامًا طول الطريق .

والده : وأين هو الآن ؟

جونى : أظنه فى الخارج . . وهل أنت متأكد أن هذه ليست سرقة يا أبى ؟

والده : (وهو مغضب . . ويأكل بعض حبات من العنب مع ذاك) بالطبع ، بالطبع . . ليست سرقة . . سآخذ أنا بالى من الكلب . . تذكر يا جونى أن أباك لا يمكن أن يفزع من إنسان أو من وحش .

(يذهب إلى النافذة فى حذر ، ثم ينظر منها)

جونى : أهو موجود يا بابا ؟

والده : لا يوجد إلا كلب صغير يا جونى . . وهو نائم . . على ما أظن .

جونى : أجل . . إنى أعرفه . . إنه كلب الفلاح . . وهو ينتظرنى .

والده : إنه ليس كلبًا كبيرًا يا جونى .

جونى : أجل . . ولكن . . إن كانت هذه سرقة ؟ . . وإن كان هذا كلب الفلاح ؟ . . فماذا يكون إذن ؟

والده : وفيم هذا كله ؟ إن هذا الكلب الهزيل الضئيل ليس ملكًا لأحد . ويخيل لى أنه يبحث عن صديق يعطف عليه يا جونى !

جونى : أواثق أنت يا أبى . . لقد جرى خلفى طول الطريق .

والده : واثق لا شك . . كل الثقة ! أنا لست شاعرًا فقط يا جونى . . أنا خبير

بكل شيء !

(وهنا يأخذ الكلب فى الهمهمة والنباح فجأة . . فيقفز والد جونى إلى الوراء فى هلع . . مبتعدًا عن النافذة . . وينوء الهم بكلكله على صدر جونى . . وينعقد لسانه)

جونى : (نابسًا آخر الأمر) ماذا يا بابا ؟

والده : أظن أن أحداً مقبل ؟ . .

جونى : أرأيت . . إنها سرقة يا أبى . . إنه الفلاّح .

(يجرى إلى المنضدة ويجمع الفاكهة فى كلتا ذراعيه ـ وتدخل جدته مسرعة) .

جدته : (بالأرمينية) ما كل هذه الزمجرة . . فى هذا المطر ؟

الوالد : ش . . ش . . شو . .

(يخرج جونى بالفاكهة من الغرفة ـ ثم يعود وهو يكاد يموت فرقا . .

(الكلب لا يزال يهمهم وينبح ـ والوالد أشد ذعرًا من ابنه) .

الوالد : كم أشتهى سيجارة !

جونى : (وقد أهمه ما فيه أبوه ـ متوسلاً إلى جدته بالأرمينية) .

هل عندنا سجاير ؟

(تسرع جدته بالدخول إلى الغرفة المجاورة)

(الكلب يقف نباحه ـ ويسمع طرق خفيف بالباب)

جونى : أرأيت يا أبى ؟ . . إنه الفلاح ! . . أين أختبىء ؟

لا تفتح الباب !

الوالد : أفتح الباب ؟ . . كلا . . هات المنضدة . .

(يدفعان المائدة خلف الباب ، ويمشيان على أطراف أصابعهما إلى وسط الحجرة ـ وتقبل الجدة مسرعة وفى يدها سيجارة وعود كبريت تقدمهما إلى ابنها (والد جونى) الذى يشعل السيجارة ويأخذ منها نفسًا عميقًا ، ثم

يتنفس صعداءه متمطيًا)

الوالد : (فى لهجة مسرحية) أنا الذى أخذت الفاكهة من الحقل . . فافهم هذا يا جونى .

جونى : لا تفتح الباب يا أبى . .

(يتناول والده مقعدًا صغيرًا ويضعه فوق المنضدة لصق الباب ـ ليزيد من ثقلها ، وهنا يأخذ جونى كرسيًا ويضعه فوق المنضدة كذلك ـ أما الجدة فتضع زهرية هى الأخرى . . ويعود والد جونى فيضع ثلاثة كتب ثقيلة . . وهكذا . . كلما ازداد الطرق ، جاءوا بأشياء أكثر فأكثر حتى يضعوا كل أثاثهم تقريبًا خلف الباب)

والد جونى : لا تخف يا جونى . . لا تخف . .

جونى : إنه لا يستطيع الدخول . . أليس كذلك ؟

والد جونى : لا أظن !

(يقف ثلاثتهم وسط الغرفة وكأنهم يتحدون العالم بأسره ، وبعد لحظة ينقطع الصمت على صوت ناى يعزف) :

قلبى فى ر بى سكتلندا !

(وتشرق الشمس)

جونى : (صائحًا) إنه المستر ماك كريجر .

والده : (جاريًا إلى النافذة يفتحها ويطل منها ثم يصيح) :

مرحبا مستر ماك كريجر . . جونى . . أعد كل شىء إلى مكانه . .

(يعود ليساعدأمه وابنه فى إعادة كل شىء إلى مكانه . . ثم يفتح الباب على مصراعيه ـ فيجد جاسبر ماك كريجر لا يزال ماضيًا فى لحنه ، والكلب الهزيل واقف خلفه ـ وهنا يدخلان ، كريجر ، والكلب الذى يهرول فى الحجرة واثبًا هنا وهناك مرحًا مذهولاً ، وعينا كريجر مغرورقتان بدموع الفرح والأسى . . وينطلق جونى إلى المطبخ عدة مرات ليعود منه

بالفاكهة على طبق ـ ومعه جرة من الماء . ويفرغ كريجر من اللحن، ثم يقف الجميع صامتين لحظة . . يتقدم بعدها جونى بجرة الماء إلى الضيف العزيز) .

ماك : (فى حالة من الإعياء) لست ظمآنًا هذه المرة يا جونى .

والد جونى : مرحبًا أيها الصديق العزيز.

ماك : لقد هربت . . وهم فى أثرى الآن . . لكنى لن أعود معهم . . وقد سرقوا نابى . . وحاولوا أن يبقونى فى فراشى بحجة أننى مريض ، وأنا لست مريضًا . . بل . . عجوز . . طاعن فى السن . . وأعرف أن أيامى فى هذه الدنيا معدودة . . وكل ما أتمنى أن أقضى البقية الباقية منها معكم . . فأرجو ألا تسمح لهم بإرجاعى .

والد جونى : لن أسمح بذلك .

(ثم يقدم كرسيًا لماك)

أرجو أن تجلس

(يجلسون جميعًا . . ويشرع ماك فى التفرس فى وجوههم) .

ماك : ما أسعدنى برؤيتكم ثانية !

جونى : ألا يزال قلبك فى ربى سكتلندا ؟

ماك : (وهو يومىء برأسه) أجل يا بنى . . إنه لا يزال هناك .

والد جونى : (مغضبًا) جونى !

جونى : (مهمومًا هو الآخر) ماذا ؟

والده : اسكت !

جونى : ولم ؟

والده : ولم؟ . . لماذا تكون غبيًا هكذا أحيانًا ؟ ألا تلاحظ أن مستر ماك كريجر متعب مكدود ؟

جونى : (لماك) ـ أمتعب أنت يا سيدى ؟

ماك : (وهو يومىء برأسه) . . ولكن أين أمك يا بنى !

جونى : إنها . . ميتة !

ماك : (وهو يكلم نفسه تقريبًا) لا . . لا . . ليست ميتة يا جونى !
(ثم يهز رأسه) إنها فى ربى سكتلندا ؟

الجدة : (إلى ابنها) ـ ماذا يقول ؟

والد جونى : (وهو يهز رأسه) لا شىء ؟
(و إلى ماك) ألا تأكل ؟

ماك : (وهو ينظر إلى الطبق) حبة من العنب . . ولا أكثر.
(ثم يلتقط عنبة من العنقود ويضعها فى فمه . . لكنه يجفل فجأة . .)
أهم آتون ؟

والد جونى : لا تخش شيئاً يا صديقى ـ بل نم . . واسترح .
(ثم يقوده إلى الأريكة (الكنبة) حيث يستلقى فوقها ووجهه إلى أعلى ، ويعود والد جونى إلى كرسيه عند المنضدة ، ثم يمتنع الجميع عن الأكل . . إلا أن ماك يقفز فجأة ، ويعود إلى مقعده عند المنضدة . .)

ماك : أنت لن تسمح لهم بإرجاعى . . أليس كذلك ؟

والد جونى : كلا . .
(ثم يكسر رومانة ويعطيه فلقة منها)
حاول أن تأكل شيئاً .

ماك : أشكرك يا صديقى ـ أشكرك .
(ثم يأكل حبات)
(وهنا يسمع طرق على الباب ، فيثب ماك كريجر واقفاً مروعًا . .)

ماك : (مزمجراً ـ ناظراً نحو الباب) إنكم لن تعودوا بى . . وأنا أحذركم . . وسأقع الآن وألفظ آخر أنفاسى . . إنى من هنا . . وهؤلاء (مشيراً إلى الجماعة) أهلى .

والد جونى : (مفزوعًا) هل نفتح الباب ؟

جونى : (مفزوعًا أيضاً) هل نفتح ؟

ماك : (فى جبروت) طبعاً . . سنفتح الباب !

(ثم يذهب إلى الباب فيفتحه ـ وإذا الطارق روف آيْلى ، النجار الذى يؤخذ قليلاً بمنظر ماك) .

روف : هالو . . مستر ماك كريجر.

جونى : من هذا ؟

روف : أنا روف آيلى

ماك : كيف حالك . . روف ؟

والد جونى : (وهو عند الباب) تفضل يا روف ، ادخل .

(روف يدخل ومعه رغيف وقطعة من السجق وبيضتان) .

روف : لقد كنت جالساً فى منزلى لا أصنع شيئاً . . فى حين سمعت ذاك اللحن القديم . . فلم يساورنى الشك فى أنه المستر ماك كريجر !

ماك : ما أشد سرورى لتذكرك !

روف : إننا جميعاً ذاكرون سحر هذا اللحن . . و . . ولقد أحضرت هذه الأشياء.

ماك : (يأخذها ويضعها على المنضدة) .

أشكرك يا صديقى . . أشكرك !

(طرق بالباب مرة أخرى . . إنه سام ولاس ، عامل أسلاك البرق ، فى «عفريتة » الشغل الكاملة ، ومن فوقها « مريلة »وقد برزت أدوات الشغل من جيوبه ـ وقد لف حول ربلتيه أى بطن رجله ، أشرطة وشنابر، ومسامير قلاووظ . . إلخ . . وقد أحضر معه جبنًا وفجلاً وطماطم) . .

ولاس : لقد عرفت أنه مستر ماك كريجر ، فقلت: اذهب إليه بهذا المأكولات البسيطة .

ماك : إنها حقّا مفاجأة سارة !

روف : (وهو يحاول أن يقول شيئاً والسلام) آه يا مستر ماك كريجر !

ماك : أجل يا صديقى . . تكلم . . تكلم . . فأنا رجل بسيط . . عادى . . مثلك تماما ولا أختلف عنك فى شىء ! !

روف : أخت زوجتى . . و . . أسرتها واقفون فى الخارج . . وهم يودون أن يسمعوك تعزف . . ويوجد ناس آخرون كذلك !

ماك : (وقد أجدى فيه الملق) طبعاً . . سأعزف . . لقد تجاوزت الثمانين . . ولن أعمّر أكثر فى هذه الدنيا . . وقبل أن أرحل منها أريد أن أصبح واحدًا منكم . . جزءًا منكم لا يتجزأ . . أنتم يا من سوف تعيشون هنا بعدى . . وهل عيالهم هناك أيضاً ؟

روف : سبعة ! . . إنهم سبعة يا مستر ماك كريجر . . وهم أبناء أخت زوجتى ! . . .

(يحضر ثلاثة أو أربعة آخرون من جيران الحى ، يحملون أطعمة شتى ، فيتناول ماك نايه ويخرج إليهم . . إلى السقيفة . . ويتبعه الكل إلاّ والد جونى . . ثم يعزف ماك اللحن من جديد . . وهو يعزفه بقدر ما فى وسعه وبقدر ما أبقى فيه المرض وتقدم السن من قوة . .

(وفى أثناء ذلك يذرع والد جونى أرض الغرفة مبتسماً . . عابساً . . بادى الحب لهذا المنزل . . منزل شعره وذكرياته . . ثم يفتح باب المطبخ بلطف فإذا فيه إستر كوزاك ، واقفة فى استحياء . . فيعود إليها والد جونى ويتلقاها . . إنها لا تبكى هذه المرة . . لكنها تقف وفى يدها شىء ما . .)

والد جونى : هالو . . إستر !

إستر : أين جونى ؟ .

والد جونى : سأذهب لأناديه .

(يخرج إلى السقيفة فتقف الفتاة فى حزن ممض ووحشة موجعة . . ثم يأتى جونى بعد قليل مهرولاً . . وقد بدا عليه التأثر ، إلا أنه يهدأ بسرعة بمجرد شعوره بحال الفتاة)

جونى : هالو إستر !

إستر : هالو جونى !

جونى : خير . .

إستر : أبى قرأ لى الشعر !

جونى : ماذا ؟

إستر : (وهى تمد يدها) خذ . . هذا كل ما عندى . . (يتناول جونى ما فى يدها فإذا هو عدد من قطع النقود) . . وهو ما كنت أدخره لعيد الميلاد (ثم تجهش بالبكاء فجأة وتدير وجهها وتخرج) .

جونى : (وقد بدا عليه التأثر والانفعال الشديد . . لما أدرك من هذه العاطفة النبيلة العميقة الغلابة ! . .) يا إلهى !

(ثم تنقبض عضلات وجهه بانفعالات صبيانية ، ويأخذ فى البكاء فجأة . . ثم يقذف بقطع النقود على الحائط . . ويسقط إلى الأرض وهو مستغرق فى البكاء) من قال إننا فى حاجة إلى هذه النقود ؟ . .

(يعود والد جونى)

الوالد : جونى ! . . (ثم يقترب منه) جونى ! . .

جونى : (وهو مختنق يتنهد) لقد جاءت لتعطينى نقوداً ! . .

الوالد : وما فائدة البكاء يا ولدى ! .

جونى : (وقد قفز فجأة) ومن الذى يبكى ! . .

(لكنه ينخرط فى البكاء أشد مما كان يفعل) .

الوالد : هيا . . اذهب فاغسل وجهك . . فلا أهمية لهذا ! . .

جونى : (وهو يذهب) . . إنهم يسيئون فهمنا . .

(ينتهى ماك من عزف لحنه فيبهت الناس ويعتقدون أن بالرجل شيئاً ، ويتمتم ماك لحظة بكلام غامض) .

ماك : (متعباً) السنون يا أصدقائى . . السنون . . لقد ذهبت إلى آخرها . . إلى النهاية . . يؤسفنى ألاّ أستطيع أن أعزف لكم أكثر مما فعلت . . أشكركم . . أشكركم . .

(والد جونى يتمشى فى الغرفة جيئةً وذهابًا . . ثم يجلس إلى المائدة وهو ينظر إلى الطعام . . ويقصد ماك والجدة إلى المائدة فيجلسان إليها هنا أيضًا . . أما الكلب فيقبع فى ركن) .

ماك : (يرفع الجرة ويشرب قليلاً من الماء) .

إنهم لن يدعونى أعزف . .

(ثم يشرب جرعة أخرى) .

لقد سرقوا نايى . .

(ويشرب جرعة ثالثة) .

زعموا أننى مريض . .

(وجرعة رابعة) .

إنى قوى كالثور . . فإذا جاءوا ليعودوا بى ، فسأدعى أننى موشك على الموت . . وسأمثل لهم دور الملك لير وهو يموت . . سأمثل هذا الدور، وجميع أدوار الموت .

(ثم يعود جونى فى وقار ، ويكون الجميع حول المائدة ، ولكن أحدًا منهم لا يأكل . . ما عدا الجدة . . وبعد فترة تمتنع هى الأخرى عن الأكل) .

الجدة : ماذا ؟ . . فيم هذا الوجوم المزعج ؟

ماك كريجر : (وهو ينهض)

(ينشد أبياتًا من شيكسبير ، ويخلطها بأخرى من كلامه) .

اعصفى يا رياح ، اعصفى ، وصعرى خدك . .
اعصفى واصطخبى . .
وانهمر يا مزن السماء مدرارا . .
حتى تغمر هذه الأبراج ، وتطم تلك القباب . .
وأنت أيتها النيران الكبريتية النزاعة للشوى . .
إلفحى شيبتى البيضاء هذه .
وصبى حممك ، وانفثى يحمومك ، وأمطرى شواظاً وسجينا . .

* * *

أبدًا ما أعطيتكن ملكى ، ولا كنتن بناتى . .
أنا الذى أقف هنا . . عبداً لكن . . قِنًّا . .
ضعيفًا . . وانيًا . . طاعنًا فى السن . .

* * *

حياة . . أو . . عدم !
حياة ! . . حياة ! . .
ماذا ؟ معتوه ؟ . . رجل سخر منه القدر ؟
طريد من الوطن والأهل ، محروم من الحب ؟
أنا ؟ . . أنا هذا الرجل الذى أجرم أهله فى حقه أكثر من الإجرام نفسه . .
وغير الكلاب الصغيرة . . والظباء . .
انظرى يا بلانش الحبيبة . . إنها جميعا تنبحنى . .
أوه . . إن هذا كله كذب . . ولم يعد ينطلى علىّ شىء منه بعد ، لأعرضن عنه ، إذ ها هو حجاى يعود إلىّ

(يذهب إليه جونى فيركع أمامه)

هلم إلىّ يا ولدى . . كيف حالك ؟ . . ترتجف من البرد ؟

ولكن . . اذهب . . اذهب ودعنى وحدى . . فقد تحطم قلبى وشنق حبيبى الذى طاش صوابه .

لا . . لا . . لا حياة ! . .

لماذا تنعم الكلاب والخيل والجرذان بالحياة !

ويحرم منها حبيبى ؟ . .

لن تعود إلينا أبدًا يا حبيب الروح . .

أبداً أبداً . . أبدًا . . أبدًا . .

أرجو أن تفك هذا الزرار . . شكرًا لك يا سيدى .

(يرفع الناى أمامه)

هل ترى هذه القصة ؟ انظر إليها . . انظر . .

انظر هناك . . انظر هناك . .

(بينما ماك ماض فى تمثيله يعود جونى إلى قطع النقود فيجمعها واحدة بعد أخرى ، وينظر لحظة إلى كل منها) . .

(وبينما الغرفة فى سكون تام إذ تسمع عربة يجرها جواد فى الشارع ، ثم يسمع وقع أقدام على الدرج ، وطرق على الباب . . فيذهب والد جونى إليه حيث يلقى القادم : فيليب كارمشيل ، وجنديين من جنود بلاد القدامى يقفان مستعدين بالباب) . .

كارمشيل : لقد سمعناه يمثل . . إنه مريض جدّا ، وقد أتينا لنعوده .

والد جونى : ادخل . . أرجوك .

(يدخل)

(مخاطبًا ماك) : مستر ماك كريجر :

(ماك لا يجيب . . فيناديه بصوت أعلى) مستر ماك كريجر !

(ثم يقترب منه منادياً مكرراً) مستر ماك كريجر ! مستر ماك . .) . .

(يهرول كارميشل إلى ماك كريجر ويأخذ فى فحصه) . .

كارمشيل : لقد مات . .

جونى : كلا . . لم يمت . . لقد كان يمثل !

والد جونى : وحق السماء . . لقد كان أعظم من يمثل شيكسبير فى زماننا!

كارمشيل : يؤسفنى أن يحدث هذا هنا .

والد جونى : ولم لا ؟! . . لماذا لا يحدث هذا هنا ؟ . . لقد أراد هو أن يقضى هنا . .

جونى : لقد كان يمثل يا أبى . . إنه لم يمت . .

(ثم يتوجه إلى ماك كريجر) أأنت ميت يا مستر ماك كريجر ؟!

(لا رد طبعًا)

كارمشيل : هلموا . . لنرجع به . .

والد جونى : ها هو ذا نايه . . ليكن معه !

١ ـ (يحمل والد جونى جثمان ماك خارج الغرفة ، ويحمله الحارسان من السقيفة إلى الشارع) .

٢ ـ (يزداد ضوء الأصيل إلى ما كان عليه فى أول الرواية) .

٣ ـ (الحصان والعربة يمضيان ، وتتبع ذلك لحظة من الصمت . . وكلما ابتعدت العربة سمعنا من السماء صوت الناى يردد اللحن الأخير . ثم يتلو ذلك طرق بالباب ، فإذا الطارق الزوج والزوجة وعلى يديها طفلها يبكى (اللذان استأجرا المنزل) .

الزوجة : الولد متعب . . ويريد أن ينام . .

والد جونى : البيت جاهز . . تفضلوا . . (إلى جونى) هلم يا جونى ، أعد أشياءك . . (وإلى أمه بالأرمينية) نحن ذاهبون . .

(يجر حقيبة من القش من تحت الأريكة ، ثم يقذف فيها بقصائده وكتبه وأظرف الخطابات ؛ وبرغيف وقليل من الأطعمة الأخرى . . أما أمه العجوز فتلتفع بشال حول رأسها وكتفيها . . ويترك جونى جميع خلقه ، محتفظًا فقط بقطع النقود ـ الطفل ينقطع عن البكاء . . الكلب يتبع

جونى حيثما ذهب ، صوت الموسيقى الآتى من بعيد يزداد ارتفاعًا) . .

أشكرك . . أشكرك كثيرًا .

الزوج : هل استأجرت منزلاً جديدًا تذهبون إليه ؟

الزوجة : أجل . . أجل . . وداعاً . .

والد جونى : مع السلامة . .

الزوج : (يخرج جونى وأبوه وجدته إلى الشارع) . .

والزوجة : يا ترى . . إلى أين نحن ذاهبون يا أبى ؟

جونى : لا تفكر فى هذا الآن يا جونى . . اتبعنى . . اتبعنى فقط .

والده : أبى . . لابد أن خطأ قد حدث فى مكان ما . . إلاّ أننى لا أتهم أحدًا .

جونى : (يزداد صوت الموسيقى ارتفاعًا . . وينصرفون) .

❋ ❋ ❋